السلطان محمود غازان

علاقته بالمماليك في مصر وإصلاحاته الداخلية

٦٩٤-٧٠٣هـ/ ١٢٩٥-١٣٠٤م

-Sultan Mahmoud Ghassan-
694-703H / 1295-1304G

إعداد

د. ليلى أمين عبد المجيد

أ. مشارك – قسم التاريخ

كلية الآداب – جامعة الملك عبد العزيز

عدد يونيو ٢٠١٧

الملخص

استطاع السلطان محمود غازان أن يعتلي العرش المغولي عام ٦٩٤هـ/١٢٩٥م وفي نفس العام أعلن إسلامه ، وقد ترتب على اعتناق غازان الإسلام تغير في سلوك المغول وتصرفاتهم ، فقد هذبهم الإسلام ووضع غازان قوانين جديدة عرفت باسم الياسا الغازانيه ، وقام بإصلاحات شاملة في دولته ، تتفق مع الإسلام ، حتى أننا نستطيع أن نقول أنه بفضل جهود غازان تم خدمة الدعوة الإسلامية في هذا الجزء من العالم ، خدمة عظيمة لم يسبقه إليها أحد من ملوك المغول السابقين ، ورغم إسلامه فقد سيطرت عليه فكرة مد نفوذه إلى بلاد الشام ومصر ، فاصطدم بحكامها المماليك وقضى فترة طويلة من حكمه ، في محاربة المماليك ، تراوحت ما بين نصر وهزيمه ، حتى تمكن المماليك من هزيمته ، ولم يلبث أن توفي عام ٧٠٣هـ ، ١٣٠٣م حزيناً على هزيمته .

Abstract

Sultan Mahmoud Ghazan could ascend the Mongolian throne in 694 H - 1295 AD. He converted to the Islam religion in the same year. As a result of his embracing the Islamic religion, Mongols had a change in their behaviors. The Islamic Religion refined them. Ghazan developed new codes known as Mongol Yassa codes, and he made comprehensive reforms in his state compatible with Islam. We can even say that the Islamic call was serviced in that part of the world due to the efforts of Ghazan. A great service which no one of Mongolian kings had before. Despite his conversion to Islam, he was controlled by an idea to extend his authority to the Levant and he clashed by their Mameluke rulers. He spent a long period of his rule in fighting Mamelukes, varied between a victory and defeat until Mamelukes could defeat him, and he sadly died soon over his defat in 703 H -1303 AD.

أهمية الدراسة :

تتمثل أهمية هذه الدراسة في إلقاء الضوء، على شخصية السلطان محمود غازان، فقد كان حميد السيرة عادلاً يفضل على كل الخانات، ففي عصره بلغت قوة المغول أوج عظمتها. ورغم قصر مدة حكمه التي بلغت تسع سنوات، فإن السلطان غازان يعد من سلاطين الشرق العظام، نظراً لما قام به من إصلاحات وإنشاء قوانين، بل هو من أعظم سلاطين أسرة الإيلخانات في إيران، من ناحية إدارة شؤون الحكم والدولة.

فقد وفق في إدارة المملكة المترامية الأطراف، بكل حكمة وتدبير وسياسة، وعمل على رفاهية الرعية، وإصلاح الشؤون المالية للدولة، وإنشاء المؤسسات الخيرية، وجمع حوله العلماء وأهل الفضل، فكان عصره من أزهى العصور، حيث أعاد للإسلام قوته ومكانته التي كان يتبوأها في بلادهم قبل غزوات جنكيز خان. وقد حزن لوفاته المسلمون المغول، حيث أنه كبح جماح الوثنية، وقضى على الفوضى التي كانت منتشرة في إمبراطوريتهم، كان إدارياً متميزاً ومصلحاً اجتماعياً عظيماً، أدخل الكثير من ضروب الإصلاح الإداري والمالي، وشجع النمو الاقتصادي، وعلى هذا كان عصر غازان هو العصر الذهبي، للمغول في إيران، وهو علامة بارزة لانتقال المغول من الحياة البدوية، إلى حياة متحضرة.

مقدمة :

يعتبر ظهور المغول كقوة مؤثرة، حدثاً خطيراً في توازن القوى، وفي العلاقات بين الشرق والغرب. والمغول رعاه يعيشون في منطقة صحراوية قاسية تقع في الشمال الشرقي من قارة آسيا تعرف باسم هضبة منغولياً[١]. والتي عاش سكانها على الرعي وعلى حياة الترحال سعياً وراء الرزق، وكانوا كلما ضاقت بهم الأرض، خرجت بعض قبائلهم إلى المنطقة الخصبة المجاورة لنهب خيراتها. ولذا شيد الصينيون سور الصين العظيم[٢] لحماية بلادهم من خطر قبائل المغول.

وكان النزاع يسود قبائل المغول، حتى وحدهم تيموجين[٣] وأسس دولة كبرى، وأخذ يتوسع على حساب جيرانهم وسيطر على معظم قارة آسيا[٤]. واتخذ من

(١) هضبة منغوليا : تقع هذه الهضبة شمال صحراء جوبى، وتمتد إلى أواسط آسيا جنوبي سيبيريا، وشمالي التبت وغربي منشوريا وشرقي تركستان بين جبال التاي غرباً وجبال خنجان شرقاً ويتراوح ارتفاعها بين ١٠٠٠-١٣٣٠ متراً وهي حاجزاً منيعاً بين الأقاليم الصينية الحارة وبين الأراضي الباردة في سيبيريا ومناخها في الصيف شديد الحرارة وفي الشتاء قارس البرد، ومواردها الاقتصادية قليلة. أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة النهضة العربية، ١٩٨٣م، ج٧/ص١٧٣، فايد حماد عاشور، العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى، مراجعة جوزيف نسيم، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٤م، ص٧م، محمود السيد، التتار والمغول، مؤسسة شباب الجامعة، ٢٠٠١م، ص٣٩.

(٢) سور الصين : أطول بناء في التاريخ طوله ٦٤٠٠ كم وهو من عجائب الدنيا السبع، أمر ببنائه امبراطور الصين (شي هوان) لحماية كل أقاليم الصين الشمالية من هجمات المغول وهو أطول سور في العالم وارتفاعه تسعة أمتار مع إبراج المراقبة، لوثروب ستودار، حاضر العالم الإسلامي، ترجمة حجاج نويهض، الطبعة الرابعة، بيروت، دار الفلك، ١٣٩٤هـ/١٩٧٣م، ص١٧٣، أحمد شلبي، موسوعة التاريخ، ج٧/ص٧٣٥-٧٦٣.

(٣) تيموجين: اشتهر باسم جنكيز خان، ولد على ضفاف نهر أونون كان أبوه يسوكاى عند ولادة ابنه يحارب التتار وهم فرع من قبائل المغول وانتصر على ملكهم تيموجين، فلما عاد سمى ابنه تيموجين، وذلك عام ٥٤٩هـ/١١٥٥م ومعنى تيموجين الصلب الفائق= =ويقال الفارس الكامل .الهمداني (رشيد الدين بن فضل الله)، جامع التواريخ، تاريخ جنيكيز خان، نسخة مصورة على مكيروفيلم، معهد إحياء التراث الإسلامي، رقم ٩٠، ج٢/ ص٩٠، ابن الأثير (عز الدين) الكامل في التاريخ، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ج٨/ص٣٣٠، محمود السيد، التتار والمغول، ص٦٠.

(٤) الهمداني، جامع التواريخ، تاريخ جنكيز خان، ج١/ ص١٦٥.

قراقورم[١] عاصمة وأصدر دستوره المشهور باسم الياسا[٢]. وفي عام ٦٠٣هـ/١٢٠٦م تلقب تيموجين بلقب خان[٣]. وأصبح يطلق عليه جنكيز خان[٤] ونجح في الانتصار على الصين واستولى على حاضرتهم بكين، وترتب على ذلك دوياً هائلاً في الممالك الإسلامية، فزادت هيبته في نفوس الجميع[٥]. وبعد أن استقر الأمر لجنكيز خان، وخضعت له الغالبية العظمى، من قبائل المغول تمكن جنكيز خان من القضاء على

(١) قراقورم : مدينة شمال منغوليا على نهر أرخون في أقاصي بلاد الترك الشرقية وسط آسيا قرب جبال قراقورم، لذلك عرفت باسم قراقورم ومعناها بالتركية الرمل الأسود. العمري (شهاب الدين أبي العباس) مسالك الإبصار في ممالك الأمصار، تحقيق محمد عبد القادر خريسات، الإمارات المتحدة، مركز زايد، ٢٠٠١م، ج٣/ ص٧٠، ابن سعيد (أبو الحسن علي بن موسى المغربي) الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، الطبعة الأولى، بيروت، المكتب التجاري، ١٩٧٠م، ص٩٨، أبو الفدا (عماد الدين إسماعيل) تقويم البلدان، تصحيح رينود ماك كوكين ديسلان، باريس، دار الطباعة السلطانية، ١٨٥٠م، ص٥٠٤-٥٠٥.

(٢) الياسا: معناها القانون وهو لفظ مركب معناه الشرائع المغولية التي وضعها جنكيز خان لتنظيم النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية الخاصة بالمغول واشتهرت الياسا بقوة أحكامها. المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، القاهرة، مطبعة النيل، ١٤٢٦هـ، ج٢/ ص٢٢٠-٢٢١، فايد حماد عاشور، العلاقة السياسية، ص٣٠.

(٣) خان : لقب يطلق على شيوخ الأمراء في قبائل التتر، ثم أصبح علماً على السلطنة وهو لقب أطلقه المغول على رؤسائهم الذين يتولون جزء من الإمبراطورية المغولية. كما استعمل المغول لقب خان أيضاً بمعنى خاقان أو قان ومعناه الملك الكبير. حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، القاهرة، دار النهضة المصرية، ١٩٧٨م، ص٢٧١-٢٧٤. ريتشاد بلانت، النقود العربية والإسلامية، تعريب بسام سروج وإبراهيم سروج، الطبعة الأولى، منشورات السائح، ١٩٩٤، ص٩٠.

(٤) جنكيز خان: لقب مغولي معناه الملك الأعظم أو أعظم الحكام أو إمبراطور البشر. الهمداني، جامع التواريخ ، ج١/ ص٢٤١، الجويني (علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين) تاريخ جهانكشاي، ترجمة محمد التونجي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ج١/ ص١٧-٢٧، عبد السلام عبد العزيز فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران،= =القاهرة، دار المعارف، ١٩٨١م، ص١٧، فايد حماد عاشور، العلاقة السياسية، ص٣٠، محمود السيد، التتار والمغول، ص٨١.

(٥) أبو الفدا (عماد الدين إسماعيل) المختصر في أخبار البشر، بيروت، دار المعرفة، ج٣/ص١٢٩، ابن كثير (عماد الدين إسماعيل) البداية والنهاية، تحقيق أحمد ملحم، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الريان للتراث، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج١٣/ ص١١٨، فؤاد الصياد، المغول في التاريخ، الطبعة الأولى، القاهرة، دار النهضة المصرية، ١٩٢٨م، ص٥١-٥٣، بارتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص١٥٤، ترجمة دائرة المعارف الإسلامية، مجلد ٧، ص١٢٨.

دولة الخطا[١] عام ٦٠٧هـ/١٢١٠م، وأصبح جنكيز خان مجاور لأملاك الدولة الخوارزمية[٢]، التي لم يلبث أن قضى عليها جنكيز خان عام ٦١٧هـ/١٢٢٠م[٣].وبذلك أصبح الطريق مفتوحاً أمام المغول إلى العالم الإسلامي، ولما تربع على عرش المغول الخان منكوقا آن [٤]،أرسل أخاه هولاكو[١] بحمله

(١) الخطا : قبائل تركية آسيوية بدوية، هاجرت من موطنها في شمال الصين في منتصف القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي إلى [illegible] عام مما مكنهم من القضاء على الدولة الخاقانية عام ٥٣٦هـ/١١٤١م ودخول بلاد ساغور شمال كاشغر عاصمة الإقليم واستولوا على بلاد ما وراء النهر من السلاجقة وأقاموا دولة عرفت باسم الخطائيين امتدت من بلاد القرغيز شمالاً إلى بلخ جنوباً ومن خوارزم غرباً إلى صحراء جوبى جنوباً وترأسهم كورخان أي ملك. بنيامين الأندلسي (ابن بونه التطيلي) رحلة بنيامين، تعريب عزرا حداء، بغداد، ١٩٤٥، ص١٦٠، ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ج٥/ص ٥٩٤-٥٩٥، القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي) صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرح وتعليق محمد حسين شمس الدين، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج٤/ ص٤٨٣.

(٢) الدولة الخوارزمية: ظهرت هذه الدولة في المشرق الإسلامي في أواخر عهد دولة سلاجقة إيران، وينتسب ملوك الدولة الخوارزمية إلى مملوك تركي اسمه نوشتكين الذي شغل وظيفة الطشت دار في البلاط السلجوقي ثم عينه السلطان ملكشاه والياً على إقليم خوارزم لكفاءته وظل متولياً المنصب حتى وفاته عام٤٩٠هـ/١٠٩٦م فخلفه ابنه بركياروق حتى نجح خوارزم شاه اتسز في الحصول على اعتراف السلطان سنجر به= =حاكماً مستقلاً للدولة الخوارزمية عام ٥٤٢هـ/١١٤٧م وكانت هذه الدولة حاجزاً قوياً بين المسلمين والمغول. الجوزجاني (أبو عمر عثمان بن سراج الدين) طبقات ناصري، تعليق عبد الحي حبيبي، الطبعة الثانية، كابل، ١٣٣٢هـ، ص٣٧٣، النسوى (محمد بن أحمد بن علي المنشي) سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، تحقيق حافظ حمدي، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٥٣م، ص٨٣-١٢١-١٧١، الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله) دول الإسلام، تحقيق فهيم شلتوت ومحمد إبراهيم، القاهرة، الهيئة المصرية العام للكتاب، ١٩٧٤م، ج٢، ص٩١.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨/ص٢٠٠، أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ٣/ص١٢٧، القلقشندي صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج٤/ ص٣١٠، السيد الباز العريني، المغول، بيروت، دار النهضة العربية، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ص١١٣، ١٢٧، عبد السلام عبد العزيز فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص٨٩، فايد حماد عاشور، العلاقات السياسية، ص٣٠، محمود السيد، التتار والمغول، ص٥٩.

(٤) منكوقا آن : هو منكو خان بن تولو خان بن جنكيز خان الملك الرابع من الملوك الذين جلسوا على تخت الخانيه الكبرى في قراقورم حيث انتخب بعد وفاة كيوك قا آن تا آن عام ٦٤٨هـ/١٢٥١م وكان على الديانة الشامانية وكان أتباعها يعبدون الكواكب ويقدسون أرواح موتاهم إلا أنه كان متعاطفاً مع جميع الديانات، وهلك عام ٦٥٨هـ/١٢٦٠م، بسبب نشابه إصابته ومات على أثرها. الجوزجاني، طبقات الناصري، ج١/ ص٣٩٧، العبري (أبو الفرج

ضخمة سار بها غرباً وأسقط الخلافة العباسية عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م[٢]. وبعد نجاح المغول في إسقاط الخلافة العباسية، سيطروا على بلاد فارس والعراق، وعملوا على تثبيت سلطانهم في هذه البلاد. وقد عرف الحكم المغولي الذي حل محل الخلافة العباسية في هذه المناطق بالدولة الإيلخانيه نسبه إلى اللقب الذي اتخذه مؤسسها هولاكو لنفسه وهو الإيلخان[٣]، الذى أصبح علماً مميزاً لحكم أسرته التى توارثت الحكم من بعده.

الحكم الإيلخاني :

بعد سقوط الخلافة العباسية، لم يجن هولاكو ثمار انتصاراته الكثيرة، إذ توفي في ربيع الآخر من عام ٦٦٣هـ/١٢٦٤م. ولم يعد جنود هولاكو إلى مرابضهم الأصلية شرقاً، بل قرروا الاستقرار في المناطق المفتوحة، وتركزوا في مدينة

جمال الدين غريغورس) تاريخ مختصر الدول، تصحيح وفهرسة الأب أنطون صالحاتي اليسوعي، بيروت، دار الرائد اللبنا[illegible]

(١) هولاكو : هو هولاكو بن طولو خان بن جنكيز خان مؤسس الدوله الإيلخانيه في إيران كان دا دهاء وخبرة بالحروب، محباً للعلماء والحكام كان معتنقاً للبوذية مات بالصرع في مدينة مراغه عام ٦٦٣هـ/١٢٦٤م وعمره ٤٨ سنة ومدة ملكه سبع سنوات. الهمداني ،جامع التواريخ، ج١/ص٤٣١،ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٤٨٠.

(٢) ابن طباطبا (محمد بن علي الطقطقي) الفخري في الآداب السلطانية، بيروت، دار صادر، ١٩٦١م، ص٣٣٥، الصفدي(الحسن بن أبي محمد) نزهة المالك والمملوك، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، بيروت، المكتبة العصرية،= =١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص١٤٨، أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج ٣/ص١٩٥، اليافعي (ابو محمد عبد الله) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في ما يعتبر من حوادث الزمان، الطبعة الثانية، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ج٢، ص١٣٧، ابن كثير، البداية والنهاية، ح١٣/ص٢٠٠، السيد الباز العريني، المغول، ص٢١٧، عبد السلام عبد العزيز فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص١١٦، فايد حماد عاشور، العلاقات السياسية، ص٣٦.

(٣) ايلخان : كلمة تركية من لفظين هما ايل وخان وأيل معناها تابع وخان حاكم وملك ورئيس عشيرة فيكون معناها الملك التابع أي حاكم إحدى الولايات في الدولة ويتبع الخاقان (الخان) الأعظم الذي يحكم الدولة كلها وقد أطلق هذا اللقب على سلالة هولاكو ابتداء من ابغا الذي اسند إليه حكم بلاد فارس بعد استقلالها عن الدولة المغولية الأم، وظلوا حكام إيران يحملون هذا اللقب حتى عام ٦٩٥هـ/١٢٩٥م عندما دخلوا في الإسلام وانحلت الرابطة بينهم وبين الخاقان واختفى اسم الخاقان من السكة الإيرانية. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤/ص٤١٩، محمود السيد، التتار والمغول، ص١٢٥.

مراغة[١]،حيث كان هولاكو ينوي تأسيس حكومته. وتم انتخاب أبغا بن هولاكو[٢] أيلخان في فارس وتوابعها وبعد وفاته، خلفه أخوه تكودار بن هولاكو[٣]. وهو أول إيلخان يعلن إسلامه، وتسمى باسم أحمد، وقد أصدر السلطان أحمد بن هولاكو أوامره إلى بغداد تتضمن إظهار شعائر الإسلام وإعلاء كلمة الدين، وبناء المساجد والجوامع وتطبيق الأحكام الشرعية، وفرض الجزية على أهل الذمة. ولكن يبدو أن إسلام تكودار بن هولاكو لم يعجب بعض أفراد أسرته، فثار ضده ابن أخيه أرغون

(١) مراغة : مدينة عظيمة مشهورة في منطقة أذربيجان كثيرة السكان وتكثر بها الأنهار أمطارها غزيرة، كانت مشتى لإيلخانات فارس. ومراغة محدثة اتخذت أيام الخليفة مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية. ياقوت الحموي (شهاب الدين عبدالله) معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ج٥/ص٩٣، ابن عبدالحق (صفي الدين عبدالمؤمن) مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق وتعليق علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى، بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م، ج٣/ص١٢٥٠، القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤/ ص٣٥٩، ٣٦٠.

(٢) ابغا : هو ابغا بن هولاكو والدته هي دوقوز خان من قبيلة سولدس ولد في منغوليا عام ٦٣١هـ/١٢٣٣م جاء إلى بلاد فارس مع والده واشترك في الحروب التي تمت في عهد والده وجلس على العرش الإيلخاني عام ٦٦٣هـ/ ١٢٦٥م وكان على الديانة البوذية كمعظم أمراء المغول كان مسرفاً في الشراب حتى هلك بسببه في أواخر ذي الحجة من عام ٦٨٠هـ/١٢٨٢م بنواحي همذان وعمره ٤٩ سنة وسبعة أشهر بعد أن حكم ١٧ سنة و٤ أشهر . الهمداني (رشيد الدين فضل الله) جامع التواريخ، تاريخ غازان خان، نقله إلى العربية، فؤاد عبد المعطي، الصياد، الطبعة الأولى، القاهرة، الدار الثقافية للنشر، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٠م، ص٨٣-٨٥. الذهبي (أبو الفلاح عبد الحي) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، الطبعة الأولى، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ج٥/ ص٦٦، عبد السلام عبد العزيز فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص١٥٢، فايد حماد عاشور، العلاقات السياسية، ص٩٠، محمود السيد، التتار والمغول، ص١٢٩، Howorth, History of the Mongols, Part 111 London, 1888, P149. Babars I of Egypt By Fatima Sadeque, Pakistan, 1956, p39.

(٣) تكودار : هو أحمد تكودار بن هولاكو الابن السابع لهولاكو أمه قوتوى خاتون من سلالة ملوك أقوام القنقرات عمد باسم نيقولا تيمناً باسم البابا نيقولا الرابع ثم أسلم فورد اسمه أحمد تكودار. الهمداني، جامع التواريخ، ج٢/ص٨٥، أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٤/ ص١٦، الذهبي، العبر، ج٥/ ص٣٢٨، القلقشندي (أحمد بن علي) مآثر الأنافه في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، الكويت، وزارة الإرشاد والأنباء، ١٩٦٤، ج٢، ص١٢٧، المقريزي(تقي الدين أحمد بن علي) السلوك لمعرفة دول الملوك، نشره محمد مصطفى زياده، ج١ ق٢/ ٧٠٤، مصطفى طه بدر، مغول إيران بين المسيحية والإسلام، القاهرة، دار الفكر العربي، ص١٢. فايد حماد عاشور، العلاقات السياسية، ص١٢٢، محمود السيد، التتار والمغول، ص١٥٤، أحمد عبد الكريم سليمان، المغول والمماليك في دولة بني قلاوون، الطبعة الأولى، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ص١٩.

بن أبغا[١]، غير أن تكودار استطاع أن يتغلب عليه وقبض عليه وسجنه، وبعد فترة قصيرة وفي عام ٦٨٣هـ/١٢٨٤م ثار اتباع أرغون وهجموا على السجن وأخرجوه منه، وهاجموا السلطان أحمد تكودار وتغلبوا عليه وقتلوه[٢]، بعد أن حكم سنة وخمسة شهور، عاشها المسلمون في أمن وسلام، وأصبح أرغون ملكاً على مغول فارس، وكان جباراً محباً لسفك الدماء وثنياً مثل أبيه، وظل متولياً منذ عام ٦٨٣-٦٩٠هـ/ ١٢٨٤-١٢٩١م، حيث مات مسموماً من شراب دس له فيه السم[٣]. فتولى بعده أخوه كيختو بن أبغا الذي لم يلبث أن قتل[٤].

وتولى بعده ابن عمه بيدو بن طوغيه بن هولاكو وذلك عام ٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م، ولكن الأمور لم تستقر لبيدو وإنما خرج عليه غازان ابن ارغو نائب

(١) أرغون بن أبغا : أكبر أبناء أبغان ووالدته تدعى قيميش أيكاجي رابع ملوك إيران الأيلخانيين تميز عهده باضطهاد المسلمين وتقريب اليهود والمسيحيين كان عظيم الجبروت سفاك للدماء، الهمداني، جامع التواريخ، ج٢/ص١٢٣ ،١٥٨، ١٦٢، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٣٦٤، ابن خلدون، العبر، ج٥/ص٣٦٦، الحنبلي، شذرات الذهب، ج٥/ ص٤١١، أحمد عبد الكريم، المغول والمماليك، ص٢١.

(٢) الهمداني، جامع التواريخ، ج٢/ ص١١٩-١٢١، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٥٢، ٢٥٨، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢/ ص٣١٧-٣٢١، المقريزي، السلوك، ج١ ق٣/ ص٧٠٧، ٧٠٨، ٧٢٦، ٧٢٧، السيد الباز العريني، المغول، ص٣٠٤، مصطفى طه بدر، مغول إيران، ص٨٠، عبد السلام عبد العزيز فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص١٦٧، محمود السيد، التتار والمغول، ص١٥٤. D.Hosson, Histoire des mongols, vol. 111, p553.

(٣) الهمداني، جامع التواريخ، ص١٢٥، الذهبي، العبر، ج٥/ ص٣٦٦، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٣٤٣، ابن خلدون، العبر، ج٥/ ص١٥٨، القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤/ ص٤٢٠، المقريزي، السلوك، ج١ ق٣/ ص٧٦٥،/ الحنبلي، شذرات الذهب، ج٥/ ص٤١١، عبد السلام عبد العزيز فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص١٧١، أحمد عبد الكريم، المغول والمماليك، ص٢٣.

(٤) كيختو: الابن الثالث للإليخان ابغا خان أمه نوقدان خاتون من قبيلة التتار ولد عام ٦٣٨هـ/ ١٢٩٥م حكم ثلاثة أعوام وعشرة أشهر. الهمداني، جامع التواريخ، ج٢/ ص١٦٩، ١٨٨، أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر،ج ٤/ص ٣١-٣٣، ابن خلدون،= =العبر، ج٥/ ص٦١٧، فايد حماد عاشور، العلاقات السياسية، ص١٢٩، أحمد عبد الكريم، المغول والمماليك، ص٣٣. Howor th, part, p387-388

خراسان[١] غاضباً لمقتل عمه، ومعه جموعه وسار لقتال بيدو يصحبه أتابكه نوروز، وكان رجلاً مسلماً فاضلاً عاقلاً وهو الذي جمع الناس على طاعة غازان، وانتهى الصراع بين بيدو وغازان بهزيمة بيدو ومقتله وحل محله غازان على عرش الأيلخان وذلك عام ٦٩٤هـ/١٢٩٥م[٢].

السلطان محمود غازان بن أرغون :

هو غازان خان بن أرغون بن أبغا خان بن هولاكو ابن تولوى خان ابن جنكيز خان، ولد في ربيع الأول من عام ٦٧٠هـ/ ١٢٧١م في أبسكون[٣] من نواحي مازندران، وهو الإبن الأكبر وكان أرغون والد غازان قد اختاره نائباً عنه في حكم خراسان، الذي يعتبر من أخطر الثغور وأعظمها شأناً، وكانت الجيوش المعادية تزحف إليه، مما جعل غازان يشتبك معهم فاكتسب مهارات قتالية. وقد استقر غازان في الحكم في ذي الحجة من عام٦٩٤هـ/١٢٩٥م وأرسل أخاه خربندا[٤] نائباً عنه في

(١) خراسان : بلاد واسعة أول حدودها شرقاً مما يلي العراق وآخر حدودها مما يلي الهند، وتضم أمهات البلاد مثل مرو ونيسابور وهراه. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢/ص٣٥٠، أبو الفدا، تقويم البلدان، ص٤٤١.

(٢) رشيد الدين، جامع التواريخ، ص١٢٥-١٢٨، أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٤/ ص٣٢، ابن خلدون، العبر، ج٥/ ص٦١٧، الحنبلي، شذرات الذهب، ج٥/ص٥٠، عبد السلام عبد العزيز فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص١٩٠، فايد حماد عاشور، العلاقات السياسية، ص١٢٩، أحمد عبد الكريم المغول والمماليك، ص٣٥، Howor th, part, p387-388.

(٣) ابسكون : جزيرة صغيرة منعزلة على بحر قزوين اشتهرت في التاريخ أنها آخر مكان لجأ إليه السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه فاراً من جحافل المغول ومات فيها ذليلاً، وهي فرضه للسفن والمراكب. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٧٣، فؤاد الصياد، المغول في التاريخ، ص ١٢٢-١٢٣.

(٤) خربندا : ويسمى أيضاً خدابنده وهو خر بندا بن ابغا بن هولاكو ابن تولوبن جنكيز خان ومعنى خرنبدا عبدالحمار وسبب تسميته بذلك أن أباه كان يموت أولاده فأشار عليه بعضهم إذاجاءه ولد يسميه اسماً قبيحاً فكان أول داخل هو الزمال وهو الشخص الذي يحمل الأشياء على الحمار واسمه خربندا . ابن بطوطه (أبو عبدالله محمد) تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، رحلة ابن بطوطه، بيروت، دار صادر، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص٢٤١، أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ٤/ص٥٠، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤/ص٢٩، المقريزي، السلوك، ج١ ق٣، ص٩٤٥، ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن) النجوم

خراسان، وعين أتابكه نوروز[١] نائباً لمملكته، والمؤرخ رشيد الدين فضل الله الهمداني، مؤلف كتاب جامع التواريخ وزيراً له. وكان نيروز هو الذي ساعد غازان في الوصول إلى الحكم وكان مسلماً فاستطاع أن يؤثر على غازان فأسلم عام ٦٩٤هـ/١٢٩٤م[٢].

وقد أقيمت الولائم والأفراح، واشتغل الحاضرون بالعبادة وشمل غازان برعايته الأئمة والمشايخ، وأجرى عليهم الصدقات وعمر المساجد والمدارس والخوانق[٣]، واشتغل في رمضان بالطاعة والعبادة، وحطم الأصنام والمعابد وبيوت النار، وقد دخل في أيامه عدد كبير من الكهنة وعبدة الأصنام في الإسلام[٤]. ونتيجة لاعتناق غازان الإسلام، حدث تغيير في سلوك المغول كما ترك العمل

الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق محمد حسن، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ج٨، ص١٦٩.

(١) نوروز : هو الأمير نوروز بن أرغون أقا وقد نشأ غازان في كنفه. وهو الذي شجع غازان أن يعتنق الإسلام. وقد دبر صدر جهان مؤامرة ضده وألصق به تهمة التآمر، وانتهى أمره أن قبض عليه غازان وأعدمه. عباس إقبال، تاريخ المغول، ترجمة عبد الوهاب علوب، أبو ظبي، المجمع الثقافي، الإمارات العربية المتحدة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص٢٦٤، عبد السلام عبد العزيز فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص ١٩٦، محمود السيد، التتار والمغول، ص١٥٨، مصطفى طه بدر، ص٣٦.

(٢) القلقشندي، مآثر الأناقة ، ج٢ / ص١٢٠ ، المقريزي، السلوك، ج١ ق٣ / ص٩٥٦، العسقلاني (شهاب الدين أحمد) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/١٩٩٧، ج٣ /ص٢٧، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨، ص٩٨-٩٩-٢١٢، ابن إياس (أبو البركات محمد) بدائع الزهور في وقائع الدهور، دار الفكر، ١٤٠٤هـ، ج١ ق١ / ص٤٠٣، الهمداني، جامع التواريخ، ص١٢٥، عباس إقبال، تاريخ المغول، ص ٢٦٤، محمود السيد، التتار والمغول، ص١٥٤، فايد حماد عاشور، العلاقات السياسية، ص١٣١، أحمد عبد الكريم، المغول والمماليك، ص٣٤، مصطفى طه بدر، مغول إيران، ص٣٧، عبد السلام عبد العزيز فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص١٩٦.

(٣) الخوانق: مفردها خانقاه وهي كلمة مركبة من أصل فارسي ومعناها دار التعبد وهي معابد يلزمها نفر من المسلمين يحسبون أنفسهم للعبادة دون أن يزاولوا أي عمل آخر. المقريزي ، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢٠٩.

(٤) ابن الفرات (ناصر الدين محمد) تاريخ ابن الفرات، الطبعة الثانية، بيروت، الجامعة الأمريكية ، ١٩٣٨م، ج٨، ص١٩٢، المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٣/ ص٢٧٤، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨/ ص٢٧٢-٢٧٤، عباس إقبال، تاريخ المغول، ص٢٦٤، محمود السيد، التتار والمغول، ص١٥٥، عبد السلام فهمي، الدولة المغولية، ص١٩١.

بقواعد الياسا، التي وضعها جنكيز خان وتغيرت عادات المغول وتقاليدهم القديمة، ووضع غازان ياسا جديدة عرفت باسم الياسا الغازانية، والتي تعتبر أنسب للحياة الجديدة(١).

وما أن أعلن غازان إسلامه حتى أزال العديد من المظالم، عن الرعيه، وحارب شرب الخمر والربا والتلفظ بألفاظ الكفر، وأمر أن كل شخص يضبط في حالة سكر أن يعاقب ويتعرض للإهانات، وألزم جميع المغول في مملكته بالدخول في الإسلام، وأن يتبعوا في سلوكهم تعاليم الدين الإسلامي وآدابه، وأمر بتحطيم جميع الكنائس المسيحية ومعابد اليهود والبوذيين، وبيوت النار الزرادشيته في كافة أنحاء المملكة. وأن يحل محلها المساجد لإقامة شعائر الدين الإسلامي، وأخذ ينفق بسخاء على العابدين والزهاد، الذين وجدوا ترحيباً في بلاطه.. وكان يدعو للإسلام في المناسبات الدينية، وكانت إجادته للغة العربية سبباً في أن يتمكن من نقل الدين الإسلامي للمغول بلغتهم. كما سخا في توزيع الصدقات والأموال. وفي عام ٦٩٩هـ/١٣٠٠م أصدر مرسوماً فرض فيه للسادة والأئمة وخدام الكعبة حقوقهم، وعين أحد الأمراء قائداً عاماً لقوافل الحج، وسير للمحافظة عليها حرساً مؤلفاً من ألف حارس، بضباطهم وطبولهم وأعلامهم، كما أرسل غطاء للكعبة مطرزاً بجميع ألقاب الإيلخان ومحملاً ملكياً، وخصص لمشايخ العربان في مكة والمدينة اثنى عشر تومناً(٢) من الذهب. وقد ترتب على إسلامه أن قطع غازان صلته بالخاقان الأعظم

(١) الهمداني، جامع التواريخ، ص٣٦.
(٢) التومان : عملة نقدية قديمة مستخدمة في إيران، التوم يساوي عشرة دنانير .

المغولي في بكين، وأفرد نفسه بالخطبة والسكه كما اهتم بالأسرة ودعمها بوسائل اقتصادية تزيد دخلها(١).

علاقة غازان بالمماليك في مصر :

كانت أملاك أيلخانات المغول مجاورة لأملاك السلاطين المماليك، وكان الاحتكاك يقع بين الطرفين باستمرار، وكان أيلخانات المغول يسيرون في فتوحاتهم غرباً نحو البحر المتوسط .

وكان غازان يريد أن يحقق حلمه في السيطرة على مصر والشام، مستغلاً التفكك السياسي الذي أصاب حكامها في ذلك الوقت ، إذ أن غازان رغم دخوله في الإسلام، مثل بني جنسه من المغول كان يتصف بالقوة الشديدة وحب السيطرة والتوسع، على حساب جيرانه المسلمين، ولهذا فإنه قضى جزءاً كبيراً من حكمه في الهجوم على دولة المماليك في الشام، متطلعاً أن تكون له الزعامة في المنطقة، ويرى في نفسه القوة الوحيدة التي تستطيع الدفاع عن الإسلام ومن ثم يجب أن تكون له المكانة الأولى بين الملوك المسلمين. ولهذا اقتحم السلطان غازان الميدان بجرأة ونظم كل جنوده لغزو بلاد الشام(٢).

مهاجمة غازان لدولة المماليك :

الهجوم الأول عام ٦٩٩هـ/١٢٩٦م :

(١) مصطفى طه بدر، مغول إيران، ص٣٦-٤٨، عبد السلام عبد العزيز فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص١٩٢، أحمد عبد الكريم، المماليك والمغول، ص٣٦، Howorth, Part3, p53 .. Sir hennery, History of the mongols part, 111, p422-427.

(٢) أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٤/ ص٣٤، محمد صالح القزاز، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، النجف، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، ص٢٩٤-٢٩٥، فايد حماد عاشور، العلاقات السياسية، ص١٣٢.

أدى هروب طائفة المغول الأويراتيه[١] بسبب الخلافات السياسية، والصراع الداخلي عام ٦٩٥هـ/ ١٢٩٦م إلى مصر إلى غضب غازان من السلطان المملوكي زين الدين كتبغا[٢] وتوافق ذلك مع رغبته في السيطرة والتوسع، مما دفعه إلى إعداد الجيوش، بهدف الانتقام من السلطان المملوكي والسيطرة على بلاد الشام، ومما قوى عزمه على ذلك هروب قبجق[٣] نائب دمشق إليه، وتشجيعه على مهاجمة بلاد الشام، واستجابة لذلك أعطى غازان أوامره إلى قائده سلامش[٤] بالتوجه لإخضاع بلاد الشام وحتى تأخذ حرب غازان مع سلاطين مصر الصبغة الشرعية، استفتى رجال الدين والعلماء، الذين أجمعوا على الجهادن، فأخذت حملته الصبغة الشرعية، ولكن حدث أن خرج سلامش عن طاعة غازان [٥]. واتصل بالديار المصرية لنجدته.

(١) الاويراتيه: قبيلة مغولية وصلت للشام أعداد كبيرة منهم. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٣/ ص٢٦٦، ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢ / ص٢٢٠، فايد حماد عاشور، العلاقات السياسية، ص١٣٢، أحمد عبد الكريم، المغول والمماليك، ص٣٧، Cambridge, History of Iran vol,5 the seljuq and mongol periods, adited by JA boyle. The university press, 1968 p, 381, Howorth, part, p388.

(٢) زين الدين كتبغا : سلطان مملوكي تولى حكم المماليك من عام ٦٩٣هـ/ ١٢٩٤م إلى ٦٩٥هـ/١٢٩٦م، وهو من أصل مغولي وأجمع المؤرخون على أن أيامه أشر أيام من الغلاء والوباء وكثرة الموتى. ابن دقماق (إبراهيم بن أيدمر العلائي) الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، مراجعة أحمد السيد دراج، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، ص٣١٩، المقريزي، السلوك، ج١ ق٣/ ص٧٩١، ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢/ ص٤٣٢، حماد عاشور، العلاقات السياسية، ص١٣٤.

(٣) قبجق : هو سيف الدين قبجق المنصوري، كان نائب دمشق وحماه، ابن دقماق، الجوهر الثمين، ص٣٢٤، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤/ص٣، المقريزي، السلوك، ج١ ق٢/ ص٣٢٠، أحمد عبد الكريم، المغول والمماليك، ص٤٤، Stanley poole, Altistory in the middle ages London, 1936, p294.

(٤) سلامش : هو سلامش بن أفال نائب الروم. المقريزي، السلوك، ج١ ق٣/ ص٨٧٦.

(٥) السبب في خروج سلامش عن طاعة غازان أن غازان أرسل سلامش نائباً عنه في بلاد سلاجقه الروم، ثم أرسله إلى بلاد الشام من جهة سيس ومعه خمسة وعشرين ألف من الفرسان على أن يسير غازان من ديار بكر ثم ينزلوا على الفرات ويهاجموا البيرة والرحبة وقلعة الروم وأن يكون اجتماع غازان مع سلامش في مدينة حلب إلا أن سلامش طمع في الاستقلال ببلاد الروم (آسيا الصغرى) وطلب الملك لنفسه حيث أنه أقرب في النسب إلى جنكيز خان من غازان، فكون جيشاً بلغ عدده عشرة آلاف وكاتب ابن قرمان أمير التركمان

وكان حسام الدين لاجين[١] أصبح سلطاناً فأرسل النجدات العسكرية للقائد سلامش[٢]. غير أن غازان استطاع في النهاية من إلحاق الهزيمة بجيش سلامش، وقتله عام ٦٩٨هـ/١٢٩٨م[٣]. وما أن تخلص منه حتى عاود التفكير من جديد في الانتقام من المماليك، خاصة بعد أن أغارت عساكر السلطان الناصر محمد بن

وكتب إلى السلطان لاجين قبل وفاته يطلب النجدة والمساعدة على قتال غازان وسارت رسله إلى لاجين فوصلوا دمشق ومنها إلى مصر، فلما وصل غازان بغداد علم بخروج سلامش ووصوله إلى الشام، فعدل غازان عن غزو الشام مؤقتاً. المقريزي، السلوك، ج١ ق٣/ ص٨٧٦، ٨٧٧، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨/ ص١١٧، فايد حماد عاشور، العلاقات السياسية، ص١٤٤، محمد السيد، التتار والمغول، ص١٦٣ Howorth, part3, p428 .

(١) حسام الدين لاجين : هو حسام الدين لاجين بن عبد الله المنصوري اختفى بعد مقتل السلطان الأشرف خليل بن قلاوون ثم تسلطن عام ٦٩٦هـ/١٢٩٨. الصفدي (الحسن بن أبي محمد) نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، بيروت، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص١٧٤،ابن دقماق، الجوهر الثمين، ص٣٢٥، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج٩/ ص١٣٣، المقريزي، السلوك، ج١ ق٣/ ص٨٢٠. Stanley, lane pool Ahistory of Egypt in the middle ages, p295.

(٢) أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٤/ ص٣٧ ، ٣٨، ابن خلدون، العبر، ج٥/ ص٤٨٩، المقريزي، السلوك، ج١ ق٣/ ص٨٧٧، ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ج٨ / ص١١٨.

(٣) أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٤/ ص٣٧ ، ٣٨ ، الدواداري (ابو بكر بن عبد الله بن أيبك) الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر، تحقيق روبرت رويمر، القاهرة، ١٩٦٠م، ج٩، ص١١، المقريزي، السلوك، ج١ ق٣/ ص٨٧٨، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨/ ص٩٤، الهمداني، جامع التواريخ، ص١٦٢، عباس إقبال، تاريخ المغول، ص٢٧٧، مصطفى طه بدر، مغول إيران، ص٨١، فايد حماد عاشور، العلاقات السياسية، ص١٤٤، أحمد عبد الكريم، المغول والمماليك، ص٤٥، محمود السيد، التتار والمغول، ص١٦٣. Haworth, part3, p437, Cambridge, Hist of Iran, p386-387.

قلاوون[١]، على أراضي دولة المغول عام ٦٩٨هـ/١٢٩٨م، ولذلك قصد بقواته بلاد الشام حيث اجتازت قواته نهر الفرات[٢]، ووصلت إلى سلميه[٣] .

في حين كان السلطان الناصر محمد بن قلاوون، قد سار بقواته من مصر إلى غزة[٤].

وكان المغول الأويراتيه عندما علموا بقدوم غازان قد تمردوا على أمراء الجيش المملوكي، وسعوا إلى إعادة كتبغا إلى الحكم. ولذلك فإن السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وهو في طريقه للقاء غازان قضى على تمردهم، ثم اتجه إلى حمص[٥] لملاقاة غازان في وادي الخازندار[٦]. حيث اشتبك المماليك والمغول في

(١) الناصر محمد بن قلاوون: هو السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون ولد بالقاهرة عام ٦٨٤هـ/١٢٨٩م في قلعة الجبل، بعد وفاة والده تولى أخوه الأشرف خليل بن قلاوون الحكم والذي قتل عام ٦٩٣هـ/١٢٩٣م وتولى الناصر محمد وعمره تسع سنوات. ابن دقماق، الجوهر الثمين، ص٧١٦، الدواداري، الدر الفاخر، ص١٢٨، المقريزي، السلوك، ج١ ق٣/ ص٧٢٧، ٧٢٨، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ، ج٨/ ص٤١.

(٢) نهر الفرات: نهر في العراق بجوار نهر دجله مياهه عذبه ينبع من هضبة الأناضول ويصب في الخليج العربي. ابن عبد الحق، مراصد الإطلاع،ج٣/ ص١٠٢، أبو الفدا، تقويم البلدان، ص٥٤-٥٥، القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤/ ص٨٢.

(٣) سلميه : بليدة ناحية البرية من أعمال حماه بينهما مسيرة يومين. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣ / ص٢٤٠، أبو الفدا، تقويم البلدان، ص٣٦٥، العمري مسالك الإبصار، ص١٢٢، الحميري (محمد بن عبد المنعم) الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الثانية، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٤م، ص٣٢٠، القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤/ ص١١٧.

(٤) غزة : مدينة في أقصى غرب الشام ناحية فلسطين وهي البوابة إلى مصر، بينها وبين عسقلان فرسخان. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤/ص٢٠٢، العمري، مسالك الإبصار، ج١/ ص١٤٢، أبو الفدا، تقويم البلدان، ص٢٣٨، الحميري، الروض المعطار، ص٤٢٨، مصطفى طه بدر، مغول إيران، ص٨٤.

(٥) حمص : مدينة قديمة مشهورة فيها قلعة حصينة على تل عال، وتقع بين دمشق وحلب. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢/ ص٣٠٢، العمري، مسالك الإبصار، ج٤/ ص١٩٤، أبو الفدا، تقويم البلدان، ص٢٦١، ابن عبد الحق، ج١/ ص٤٢٥.

(٦) وادي الخزندار : وتعرف هذه المعركة باسم وادي الخازندار أو معركة حمص أو مجمع المروج وكان المغول هدفهم هزيمة المماليك فتم لهم ذلك ، الصفدي، نزهة المالك، ص ١٨٠. الدواداري، الدر الفاخر، ج٩/ ص١٥، المقريزي، السلوك، ج١ ق٣ / ص٨٨٣، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤/ ص٩٠، الهمداني، عباس إقبال، تاريخ المغول، ص٢٧٨.

قتال في موقعة مجمع المروج عام ٦٩٩هـ/١٢٩٩م، انتهى لصالح المغول، وانسحب الناصر محمد بن قلاوون بقواته إلى مدينة دمشق ومنها عاد إلى الديار المصرية، في اسوأ حال وخلفه العساكر المصرية والشامية، التي عانت من مشاق السفر بسبب هجمات العربان عليهم وسلبهم أمتعتهم، وذلك عام ٦٩٩هـ/١٢٩٩م(١).

وأما أهالي دمشق فقد اشتد خوفهم بعد هزيمة قوات المماليك، واتفق علماء المدينة على تسليمها للمغول، وإرسال وفد من شيوخها إلى غازان من أجل طلب الأمان لأهلها، مقابل تسليم مفاتيحها إليه(٢). وقد استجاب غازان لطلبهم وأرسل رسله إلى دمشق ومعهم فرمان الأمان لأهلها، الذي اشتمل على تأمين أهل دمشق في

(١) ابن دقماق، الجوهر الثمين، ص٣٣٠، اليافعي ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ج٤/ ص٢٣٠، أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٤/ ص٤٢، الدواداري، الدر الفاخر، ج٩/ ص١٥، المقريزي، السلوك، ج١ ق٣/ ص٨٨٣-٨٨٦، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨، ص١٢١، الهمداني، جامع التواريخ، ص١٦٣، عباس إقبال، تاريخ المغول، ص٢٧٨، أحمد عبد الكريم، المغول والمماليك، ص٤٦، السير وليم موير،= =تاريخ دولة المماليك في مصر، ترجمة إلى العربية محمود عابدين وسليم حسن، الطبعة الأولى، القاهرة، مطبعة المعارف، ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م، ص٧٠، عبد السلام عبد العزيز فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص٢٠١، فايد حماد عاشور، العلاقات السياسية، ص١٤٨، محمود السيد، التتار والمغول، ص١٦٤، مصطفى طه بدر، مغول إيران، ص٢٨٨. Haworth, part 3, p439 camb, hist of Iran, p388

(٢) ابن دقماق، الجوهر الثمين، ص٣٣٠، المقريزي، السلوك، ج١ ق٣/ ص٨٨٩، الذهبي، دول الإسلام، ج٢/ ص٢٠٤، كان أهالي دمشق قد اجتمعوا في الجامع الأموي وبعثوا إلى غازان يسألوه الأمان وكان الوفد يتكون من العلماء والمشايخ ومنهم شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية وقد أعطاهم غازان الأمان ولكنه لم يلتزم بوعده بالأمان. المقريزي، السلوك، ج١ ق٣/ ص٨٨٩، عباس إقبال، تاريخ المغول، ص٢٧٩، السير وليم موير، تاريخ دولة المماليك في مصر، ص٧٠، عبد السلام عبد العزيز فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص٢٠٢، فايد حماد عاشور، العلاقات السياسية، ص١٥٠. مصطفى طه بدر، مغول إيران، ص٩١.

أنفسهم وأموالهم[١]. ولكن غازان نقض الأمان فقد أغار على دمشق ونواحيها، ووصلت غاراته إلى جبل الصالحية[٢]، ثم إلى قلعة دمشق[٣].

ودخلوا غزة وصفد[٤] وبيسان[٥]، ونهبوها جميعاً، ولم تسلم مدينة القدس[٦]، ولم يكتف غازان بذلك بل أرسل الكتب إلى نواب الحصون الشامية يهدد بتسليمها إليه[٧]. وبعد أن أحكم غازان سيطرته على بلاد الشام، ودانت له دمشق وجمع منها الثروات والأموال الطائلة رحل عنها عائداً إلى بلاده وذلك عام ٦٩٩هـ/١٢٩٩م[٨].

---

(١) المقريزي، السلوك، ج١ ق٣/ ص٨٨٩، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨، ص٩٨-٩٩، عبد السلام عبد العزيز فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص٢٠٢، فايد حماد عاشور، العلاقات السياسية، ص١٥١، محمود السيد، التتار والمغول، ص١٦٤.

(٢) جبل الصالحية : الصالحية قرية مطلة على دمشق بالقرب من جبل قاسيون وهناك جبل مطل على القرية سمي باسمها، تشتهر بحماماتها وبيوتها القديمة الجميلة وتحتوي العديد من الآثار من العهد الأيوبي. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣/ ص٣٩٠، أبو الفدا، تقويم البلدان، ص٥٤، العمري، مسالك الإبصار، ج١/ ص١١٣.

(٣) أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٤/ ص٤٢، ٤٣، الدواداري، الدر الفاخر، ج٩/ ص١٩، المقريزي، السلوك، ج١ ق٣/ ص٨٩٢.

(٤) صفد : مدينة في جبال عاملة المطلة على حمص بالشام وهي من جبال لبنان، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤/ ص٤١٢، أبو الفدا، تقويم البلدان، ص٢٤٣، العمري، مسالك الإبصار، ج١/ ص١٣٣. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤/ ص١٥٤.

(٥) بيسان: مدينة بالأردن بالغور الشامي وهي بين حوران وفلسطين وتوصف بكثرة النخل. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٢٢، أبو الفدا، تقويم البلدان، ص٢٤٣، العمري، مسالك الإبصار، ص١١٨، الحميري، الروض المعطار، ص١١٩.

(٦) القدس : بلد بالشام قرب حمص من فتوح شرحبيل بن حسنه وهي بين حوران وفلسطين، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤/ ص٣١١، أبو الفدا، تقويم البلدان، ص٢٤١، العمري، مسالك الإبصار، ج١/ ص١٣٦.

(٧) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٢٥٦، ابن بهادر (أبو عبد الله محمد) فتوح النصر في تاريخ ملوك مصر، ج٢/ ص١٦٢، ابن الفرات، تاريخ الدول والملوك، ج٨/ ص١٩٢، ١٩٣، عباس إقبال، تاريخ المغول، ص٢٧٩، السير وليم موير، تاريخ دولة المماليك، ص٧٠، فايد حماد عاشور، العلاقات السياسية، ص١٥١، Haworth, part, 3p441.

(٨) عاد غازان إلى إيران عندما علم أن مغول التركستان هجموا على حدود بلاده الشرقية من ناحية خراسان. ابن الفرات، تاريخ الدول والملوك، ج٨/ ص١١٣، العيني (بدر الدين) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق محمد محمد أمين، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٧هـ، ج١/ ص١٧٠، الدواداري، الدر الفاخر، ج٩/ ص٣١، المقريزي، السلوك، ج١ ق٣/ ص٨٩٥، ابن إياس، بدائع الزهور، ح١، ص١٠٥، السير وليم موير، تاريخ دولة المماليك، ص٧٠، مصطفى طه بدر، مغول إيران، ص٩١، أحمد عبد الكريم، المغول

تاركاً فيها جيشاً من المغول بقيادة نائبه قتلغ شاه[١]، وترك قبجق نائباً له في بلاد الشام، ويبدو أن قبجق استاء من مشاركة قتلغ له في حكم الشام، وأراد أن ينفرد بحكم الشام، فجمع من الأهالي أموالاً كثيرة وأعطاها للقائد المغولي قتلغ شاه، وزين له الانتقال إلى حلب، فوافق قتلغ وغادر دمشق إلى حلب بعد أن ترك قوة مغولية، وهدأت الأمور في دمشق وعاد الناس لأعمالهم[٢].

أما السلطان الناصر محمد بن قلاوون فبعد هزيمته ووصوله إلى مصر، أخذ يعمل على تجهيز جيشاً وقوات ليعاود قتال المغول مرة أخرى. ثم بدا للناصر أن يكاتب قبجق نائب غازان في دمشق يستميله للعودة إليه والتكفير عن خطأه بانضمامه لغازان، فوجد استجابة وقبول من قبجق. وكان السلطان الناصر محمد بن قلاوون بعد أن انتهى من تجهيز جيشه وصله خبر عودة غازان إلى بلاده، فخرج بقواته إلى بلاد الشام، فلما وصل إلى الصالحية[٣]، بقى فيها وسار جيشه بقيادة

والمماليك، ص٤٩، عبد السلام عبد العزيز فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص٢٠٤، فايد حماد عاشور، العلاقات السياسية، ص١٥٢، Haworth, part 3, p, 446 .

(١) فتلغ شاه : هو نائب غازان في مملكة التتار، وأمير أمراء الجيوش، وكان غازان يستشيره ويأخذ برأيه. ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٢٥٦، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج٩/ ص١٩٢-١٩٣، المقريزي، السلوك، ج١ ق٣/ ص٨٩٦.

(٢) الصفدي، نزهة المالك، ص١٨١، ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٢٥٧، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج٩/ص ١٩٤، الدواداري، الدر الفاخر، ج٩، ص٣١، المقريزي، السلوك، ج١ ق٣/ ص٨٩٧. الهمداني، جامع التواريخ، ص١٦٥، عباس إقبال، تاريخ المغول، ص٢٧٩، السير وليم موير، تاريخ دولة المماليك، ص٧١، فايد حماد عاشور، العلاقات السياسية، ص١٥٤، أحمد عبد الكريم، المغول والمماليك، ص٥١، Haworth, part 3, p446 .

(٣) الصالحية : بلدة بالشرقية شرق دلتا النيل في مصر. ابن دقماق، الجوهر الثمين، ص٢٦٦، وهي مدينة بناها السلطان الصالح نجم الدين أيوب، وجعل بها سوقاً جامعاً ليكون مركزاً لعساكره عند خروجهم من الرمل. النويري (شهاب الدين أحمد) نهاية الإرب في فنون الأدب، تحقيق فهيم محمد علي شلتوت، الطبعة الثانية، القاهرة، دار الوثائق القومية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ج٣٢/ ص١٣ هامش (٦).

بيبرس الجاشنكير[١] إلى الشام. وفي الصالحية التقى بقبجق الذي اعتذر له عما اقترفه وطلب العفو منه، فعفا عنه السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وأرسله نائباً إلى الشوبك[٢] وأعمالها. وكان جماعات من المغول، عندما علموا بخروج السلطان الناصر محمد بن قلاوون من مصر فروا من دمشق وحلب. أما السلطان الناصر محمد بن قلاوون فبعد أن تأكد من انتظام الأمور في بلاد الشام عاد إلى مصر[٣]. ولكن لم تمض سوى فترة قصيرة على استقرار الأمور في الشام، حتى تعرضت مرة أخرى للغزو المغولي من قبل جيوش غازان[٤].

الهجوم الثاني عام ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م:

في عام ٧٠٠هـ/١٣٠٠م وصلت الأخبار إلى أهل الشام، أن محمود غازان قد تجهز بجيش كبير لغزو الشام، وأنه بعد أن يستولى على الشام سوف يسير إلى

(١) بيبرس الجاشنكير: هو بيبرس الجاشنكير المنصوري من أصل شركسي كان من كبار أمراء المماليك، تولى السلطنة عام ٧٠٨هـ/١٣٠٨م، حتى خلع عام ٧٠٩هـ/١٣٠٩م. ابن دقماق، الجوهر الثمين، ص٣٣٦.

(٢) الشوبك : قلعة حصينة في أطراف الشام جنوب فلسطين قرب الكرك . ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣/ص٣٧٠، أبو الفدا، تقويم البلدان، ص٢٤٧، العمري، مسالك الإبصار، ج١/ ص١٤١، القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤/ص١٦٢.

(٣) الصفدي، نزهة المالك، ص١٨١، اليافعي، مرآة الجنان، ج٤/ ص٢٣١، أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٤/ ٤٣-٤٦، المقريزي، السلوك، ج١ ق٣/ ص٩٠٣، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨/ ص١٠٣، ابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق٣/ ص٩٠٣، الهمداني، جامع التواريخ، ص١٦٨، أحمد عبد الكريم، المغول والمماليك، ص٥١.

(٤) اليافعي، مرآة الجنان، ج٤/ ص٢٣٣، أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٤/ص٤٥، الدواداري، الدر الفاخر، ج٩/ ص٣٩، المقريزي، السلوك ، ج١ ق٣/ ص٩٠٧، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨/ ص١٠٥، ابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق٣/ ص٩٠٣، عباس إقبال، تاريخ المغول، ص٢٨٠، موير، تاريخ دولة المماليك، ص٧٢، عبد السلام عبد العزيز فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص١٥٤، محمود السيد، التتار والمغول، ص١٦٤، مصطفى طه بدر، مغول إيران، ص٩٠، أحمد عبد الكريم، المغول والمماليك، ص٥١، Howorth, part3, p 146-147.

مصر ويستولى عليها، فأصاب الناس الخوف والهلع وأخذوا في إخلاء المدن التي تقع في طريقه، متجهين إلى البلاد البعيدة مثل غزة والشوبك والكرك(١). ولم تلبث أن وصلت الأخبار. أن غازان وصل إلى البيرة(٢)، ثم احتل سرمين(٣). وكان الوقت شتاء والبرد قارص والأمطار تنهمر بدون انقطاع، كما انهمر الثلج. وأصبح الوحل والثلج يعوقان السير في الطريق، لذلك لم يجد السلطان الناصر محمد بن قلاوون بداً من العودة إلى مصر، خوفاً من هلاك الجيش مما زاد من خوف أهل الشام، حيث أن القوات المصرية كانت سنداً لهم. أما المغول فقد اشتدت عليهم الأمطار والثلوج وهلك الكثير منهم، فاضطروا أن يعودوا إلى بلادهم، بعد أن أقام في الشام ثلاثة أشهر(٤).

طلب غازان الصلح ٧٠٠هـ/١٣٠١م :

---

(١) الكرك : بلد مشهور وله حصن عال وهو أحد معاقل الشام جنوب فلسطين، وهو غاية في الحصانة وأسفل الكرك واد وبساتين كثيرة وفواكه من المشمش والرمان والكمثري. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤/ ص٤٥٢، أبو الفدا، تقويم البلدان، ص٢٤٧، العمري، مسالك الإبصار، ج١/ ص١٣٩، القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤/ ص١٦١.

(٢) البيرة : بلد قرب سميساط بين حلب والثغور الرومية وهي قلعة حصينة على حافة نهر الفرات في البر الشمالي الشرقي. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ح١/ ص٥٢٦، أبو الفدا، تقويم البلدان، ص٢٦٩، العمري، مسالك الإبصار، ص١٣٠، القلقشندي، صبح الأشعى، ج٤/ ص١٤٢، ٢٣٥.

(٣) سرمين: بليدة في الشام من أعمال حلب فيها حمامات وبقايا سور وجامع قديم بمئذنة مربعة من طراز المآذن الأموية وهي من إقطاع آل فضل: ابن العديم (كمال الدين عمر) بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، ج١/ ص١٣٩، أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٤/ ص٧٣، العمري، مسالك الإبصار، ج٤/ ص٢٠١، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣/ ص٢١٥.

(٤) الصفدي، نزهة المالك، ص١٨٢، ابن دقماق، الجوهر الثمين، ص٣٣٢، اليافعي، مرآة الجنان، ج٤/ ص٢٣٤، أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٤/ ص٤٥، الدواداري، الدر الفاخر، ج٩/ ص٤٦. المقريزي، السلوك، ج١ ق٣/ ص٩٠٩، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨/ ص١٣٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤/ ص١٦، الهمداني، جامع التواريخ، ص١٦٨، عباس إقبال ، تاريخ المغول، ص٢٨١، أحمد عبد الكريم، المغول والمماليك، ص٥٣، عبد السلام عبد العزيز فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص٣٠٧، فايد حماد عاشور، العلاقات السياسية، ص١٥٨، السير وليم موير، تاريخ دولة المماليك، ص٧١، مصطفى طه بدر، مغول إيران، ص٩٧، Howorth, pat 3, p.455 .

حاول غازان ملك التتار التحالف مع ملوك أوروبا، والحصول على مساعدات تلك الدول الأوروبية الصليبية، فأرسل سفارات إلى ملكي انجلترا وفرنسا لمؤازرته، ولكن هذه السفارات عادت دون أن تحقق أي نجاح مما اضطر غازان إلى أن يطلب الهدنة من سلاطين المماليك حتى يستطيع خلال هذه الهدنة من إعداد قواته، ومن ثم أرسل رسله إلى السلطان المملوكي، الذي ما إن علم بوصول رسل غازان إلى الفرات، إلا وأرسل إليهم من استقبلهم في دمشق وكانوا نحو عشرين رجلاً وأنزلهم في قلعة دمشق(١)، وتم اختيار ثلاثة نفر منهم وحملوهم إلى مصر، فاستقبلهم السلطان في قلعة الجبل. وأخرجوا كتاب غازان مختوماً لم يفتح، ففتحوه وكان مكتوباً باللغة المغولية، فترجم إلى اللغة العربية، وفيه أن عساكر مصر دخلت في العام الماضي، أطراف بلاد غازان وأفسدت فيها، مما أغضب غازان وهاجم بلاد الشام، وهزم العساكر الإسلامية. وفي الكتاب غازان يدعو السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون إلى عقد صلح بين المغول في فارس والمماليك، إلا أنه كان يهدد ويتوعد إن لم يتم الصلح(٢). ويتضح من رسالة غازان هذه أنه حاول أن يبرر غزوه لبلاد الشام، كما أنه كان يحمل صيغة التهديد والوعيد إن لم يتم الصلح. وبعد قراءة

(١) أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٤/ ص٤٦، الدواداري، الدر الفاخر، ج٩/ ص٥١، المقريزي، السلوك ، ج١ ق٣/ ص٩١٥. الهمداني، جامع التواريخ، ص١٦٩، عباس إقبال، تاريخ المغول، ص٢٨١، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨، ص١٥٧، عبد السلام عبد العزيز فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص٢٠٨، فايد حماد عاشور، العلاقات السياسية، ص١٦٢، السير وليم موير، تاريخ دولة المماليك، ص٧١، Muir, the mamluke or slave dynasty of Egypt, p56-57 Howorth, part 3, p 455-456 .

(٢) أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٤/ ص٤٦، الدواداري، الدرالفاخر، ج٩/ ص٥٣، المقريزي، السلوك، ج١ ق٣/ ص٩١٥/٩١٦، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨/ ص١٣٦، الهمداني، جامع التواريخ، ص١٧٢، عباس إقبال، تاريخ المغول، ص٢٨١، السير وليم موير، تاريخ دولة المماليك، ص٧١، عبد السلام عبد العزيز فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص٢٠٧، فايد حماد عاشور، العلاقات السياسية، ص١٦٣، أحمد عبد الكريم، المغول والمماليك، ص٥٧. Howorth, part3, p458

خطاب غازان اجتمع الناصر محمد بن قلاوون برجال دولته، وأخذ رأيهم فيما يفعل، فاستدعوا كمال الدين موسى بن يونس قاضي الموصل وخطيبها وهو أحد سفراء غازان، وقالوا له أنت من أكابر العلماء وخيار المسلمين، وتعلم ما يجب عليك من حقوق الإسلام والنصيحة للدين ما نتقاتل إلا لقيام الدين، فإن كان هذا الأمر قد فعلوه حيلة ودهاء، فنحن نحلف لك بالله أن ما يطلع على هذا القول أحد من خلق الله تعالى، فأقسم القاضي لهم أنه لا يعلم عن غازان غير الرغبة في الصلح وتأمين التجار والمسافرين ثم زاد على ذلك بقوله أن المصلحة هي الاتفاق وأن يبقوا على ما هم عليه من الاهتمام بعدوهم، وينتظم الصلح وتحقن الدماء. وكان لهذا الحديث أحسن الأثر في نفوس المماليك، وأيقنوا أن هذا القاضي لم يحد عن طريق الحق وأنه بذل النصح لهم(١).

ومن ثم استقر رأيهم على كتابة رسالة إلى غازان رداً على رسالته، وفيها أفاد الناصر محمد بن قلاوون، إلى أن المغول هم الذين بدأوا بالعدوان، وأنه لن يرسل هدايا إلى غازان حتى يبدأ غازان بذلك، وعاب على غازان ما فعله بالمسلمين في دمشق والشام وتخريبه للمساجد. وختم السلطان الناصر محمد كتابه بأنه مستعد للصلح والمصادقة، إذا جنح غازان للسلم وأبعد الكفار الذين لا يحل له أن يتخذهم بطانة له(٢). وفي ١٩ محرم من عام ٧٠١هـ/١٣٠١م خرج السلطان الناصر محمد بن قلاوون ومعظم جيشه بكامل أسلحتهم وملابسهم وعدتهم إلى بركة الحاج(٣). وأمر

(١) أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٤/ ص٤٦، المقريزي، السلوك، ج١ ق٣/ ص٩١٥، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨/ ص١٣٩.

(٢) أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٤/ ص٤٦، القلقشندي، صبح الأعشى، ج٨، ص٦٩، المقريزي، السلوك، ج١ ق٣/ ص٩١٦، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨/ ص١٣٨، عبد السلام عبد العزيز فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص٢٠٨.

(٣) بركة الحاج: وتسمى بركة الجب أو جب عميره، وهي قرية إلى الشمال الشرقي من القاهرة. وهي مركز تجمع الحجاج من مصر والمغرب والأندلس، وأفريقية يتجمعون عندها في

بتجهيز رسل غازان، ولما تقدموا إلى الصالحية وكانوا في غاية التنظيم، أذهل رسل التتار ما رأوا من نظام وحسن هيئة الجيش الإسلامي ما لم يكن عند التتار، ومن الواضح أن غرض السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون من ذلك العرض، أن يطلع رسل المغول على مدى قوة الجيش المملوكي واستعداده، حتى يخبروا غازان بما شاهدوه. ثم حضر الرسل بين يدي الناصر في معسكره، حيث أعطوهم جواب الناصر إلى غازان[١].

غزوة غازان الثالثة لبلاد الشام عام ٧٠٢هـ/١٣٠٢م:

من الواضح أن غازان لم يكن راغباً في الصلح كما ادعى، وإنما كان في حاجة إلى هدنة يستعيد فيها قوته لعدوان جديد، فقد فشلت مساعي ومحاولات الصلح، وتبين كذب غازان في طلب الصلح، ووصل إلى علم المماليك في مصر تحركات جيش التتار، وأن غازان عازم على دخول الشام فاتفق رجال الدولة على

الذهاب والإياب وتعتبر من أنشط الأسواق في بداية الطريق، حيث تعرض سائر أنواع البضائع. اليعقوبي (أحمد بن واضح) البلدان، الطبعة الأولى، بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص٩٨، ابن خرداذبه (أبو القاسم عبيد الله) المسالك والممالك، تحقيق محمد مخزوم، الطبعة الأولى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص١١٠، المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج١/ ص٤٨٩، الجزيري(عبدالقادر محمد) الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، الطبعة الأولى، الرياض، دار اليمامة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م،ج٢/ ص١٢٤٨، مصطفى طه بدر، مغول إيران، ص١٠٢، فايد حماد عاشور، العلاقات السياسية، ص١٦٤، أحمد عبد الكريم، المغول والمماليك، ص٥٦، Howorth, part 3, p458-461 .

(١) أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٤/ ص٤٦-٤٧، الدواداري، الدر الفاخر، ج٩/ ص٥٤، ٥٥، المقريزي، السلوك، ج١ ق٣/ ص٩١٦، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨/ ص١٣٩، عباس إقبال، تاريخ المغول، ص٨١، السير وليم موير، تاريخ دولة المماليك، ص٧١، عبد العزيز عبد السلام فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص٢٩، فايد حماد عاشور، العلاقات السياسية، ص١٦٥، أحمد عبد الكريم، المغول والمماليك، ص٥٧، Camp, Hist of Iran, p391 .

الخروج بالجيش إلى الشام، وعين من الأمراء بيبرس الجاشنكير[١] وجماعة من الأمراء، وثلاثة آلاف جندي وساروا من القاهرة، في الثامن عشر من رجب من عام ٧٠٢هـ/١٣٠٣م، في حين وصلت الأخبار بأن غازان عبر الفرات، ووصل بقواته إلى الرحبة[٢]، وأراد منازلتها بنفسه، فلم يجد نائب الرحبة الأمير علم الدين سنجر، بداً من اتباع أسلوب السياسة والمهادنة، حتى تصل القوات المملوكية، فخرج إلى غازان ومعه الهدايا، وحدث أن غازان عاد إلى الشرق، وأصدر أوامره إلى قائده قتلغ شاه بالمسير على رأس جيش، بلغ تعداده نحو ثمانين ألف مقاتل إلى الشام، وبعد عبور الجيش المغولي نهر الفرات، اتبع قائده أسلوب الخداع للأمراء الشاميين، وأرسل إلى نائب الشام رسالة أوضح فيها أن قدومهم بهدف إيجاد مراعي خصبة بسبب أن أراضيهم أصبحت جرداء لا تفي بحاجتهم.

وأرسل إلى نواب الأطراف الفراتية والشامية، أن غازان قادم إلى الشام، فأسرع أهالي حلب وحماه بالهرب إلى دمشق[٣] تاركين مدنهم خالية أمام عساكره التي وصلت إلى حلب ومرعش[٤]، وسار غازان بجزء آخر من الجيش نحو الرحبة، ومن هناك عبر الفرات عائداً إلى بلاده، تاركاً قتلغ شاه وجيشه لاحتلال بلاد

(١) بيبرس المنصوري، مختار الأخبار، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، الطبعة الأولى، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ص١١٠؛ ابن خلدون، العبر، ج٥/ ص٥٠٠؛ المقريزي، السلوك، ج١ ق٣/ ص٩٣٠، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨/ ص١٤٠.

(٢) الرحبة: هي رحبة مالك بن طوق الثعلبي مدينة على الفرات بين الرقة وعانه، وهي بليدة صغيرة لها قلعة على تل. وهي محطة للقوافل من العراق والشام. ياقوت الحموي،= =معجم البلدان، ج٣/ ص٣٤، أبو الفدا، تقويم البلدان، ص٢٨٠. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤/ ص١١٩، الحميري، الروض المعطار، ص٢٦٨.

(٣) المقريزي، السلوك، ج١ ق٣/ ص٩٣٠، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨/ ص١٢٤، ابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق٣/ ص٩٠٢، عباس إقبال، تاريخ المغول، ص٢٨٢.

(٤) مرعش : مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم وهي مدينة حصينة عليها سور حجارة في وسطها حصن. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥ / ص١٠٧، أبو الفدا، تقويم البلدان، ص٢٦٢، الحميري، الروض المعطار، ص٥٤١.

الشام[١]. وصلت الاستغاثة من بلاد الشام إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون، فأعد جيش لنجدة الشام بقيادة بيبرس الجاشنكير. وسار هو بجيش آخر إلى الشام، في حين كانت العساكر الشامية قد اجتمعت عند العادل كتبغا في الوقت الذي أغار فيه المغول على القريتين[٢]، ونهبوها وسبوا من أهلها أكثر من ستة آلاف شخص، مما دفع أمراء الشام إلى التوجه لإنقاذ أهالي تلك المنطقة. وتمكنوا من هزيمة عساكر المغول في موقعة عْرض[٣] وذلك عام ٧٠٢هـ/١٣٠٢م. وقد انتصر المماليك رغم قلتهم في هذه الموقعة[٤]، وهربت العساكر المغولية إلى قتلغ شاه وأخبروه أن السلطان المملوكي لم يخرج بعد، فقويت عزائمه وسار بجيشه إلى دمشق[٥]، وبينما أهل الشام مضطربين، إذ وصلت الأخبار أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون وصل بجيشه إلى بلاد الشام[٦]، فساروا إليه واجتمعوا به فسار بهم يتقدمهم إلى مرج الصفر[٧] بوادي شقحب[٨].

---

(١) ابن خلدون، العبر، ج٥/ ص٤٩٥، المقريزي، السلوك، ج١ ق٣/ ص٩٣٠، السير وليم موير، تاريخ دولة المماليك، ص٧٢، أحمد عبد الكريم، المغول والمماليك، ص٥٧، عبد السلام عبد العزيز فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص٢١٠، فايد حماد عاشور، العلاقات السياسية، ص١٦٥، مصطفى طه بدر، مغول إيران، ص١٠٣، Howorth, part,3, 468-469.

(٢) القريتين: قرية كبيرة من أعمال حمص في طريق البرية، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤/ ص٣٣٦.

(٣) عْرض: بليدة في برية الشام تدخل في أ عمال حلب، وهي بين تدمر والرصافة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤/ ص١٠٣.

(٤) أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٤/ ص٤٨، الدواداري: كنز الدرر ، ج٩/ ص١١٢، المقريزي، السلوك، ج١ ق٣/ ص٩٣٠، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨/ ص١٢٤.

(٥) ابن خلدون، العبر، ج٥/ ص٤٩٦، المقريزي، السلوك، ج١ ق٣/ ص٩٣٢، ابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق١/ ص٤١٣.

(٦) المقريزي، السلوك، ج١ ق٣/ ص ٩٣٠، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨/ ص١٢٤، ابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق٣/ ص٤١٢-٤١٣، فايد حماد عاشور، العلاقات السياسية، ص١٦٦.

(٧) مرج الصفر: المرج هو المكان الذي تمرج فيه الدواب وهي قرية نواحي دمشق. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥/ ص١٠٠.

(٨) شقحب : قرية في أول عمل حوران نواحي دمشق بينهما ستة فراسخ جنوب دمشق. المقريزي، السلوك، ج١ ق٣، ص٨٦٩، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨/ ص١١٥.

وتحت جبل غباغب[١] التحم الفريقان في قتال لم يسبق له مثيل، وحملت كراديس[٢] المغول على ميمنة الجيش المملوكي وقتلوا معظم أمرائهم[٣]. ولكن استطاع المماليك أن يحولوا الهزيمة إلى نصر كبير[٤]. حيث أقبلت العساكر المصرية، ومن انضم إليها من العساكر الشامية، وتواجه الجيشان المغولي بقيادة قتلغ شاه، ومعه أكثر من خمسين ألف مقاتل، والجيش المملوكي بقيادة الناصر محمد بن قلاوون في ٢ رمضان من عام ٧٠٢هـ/١٣٠٣م عند مرج الصفر ودارت معركة عنيفة انتصر فيها المماليك. ولما تيقنت هزيمة قتلغ شاه وأتباعه صعد بهم إلى أعلى الجبل، بعد أن أيقن أنه أصبح محاصراً من قبل القوات المملوكية، التي أحاطت بالجبل من كل جانب، وأحدثوا فجوة من خلالها فر هارباً بمن بقي من جنوده إلى نهر الفرات. فلحق بهم العسكر المملوكي وأعملوا السيف في رقابهم. في حين أن من نجا من المغول سقط غريقاً في نهر الفرات[٥]، ولم يصل مع قتلغ شاه إلا القليل من جيشه إلى بلاده، فقد أسر المسلمون عشرة آلاف من المغول وغنموا عشرين ألف

(١) غباغب : قرية في أول عمل حوران من نواحي دمشق. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤/ ص١٨٤.

(٢) كراديس : مفردها كردوس وهي الطائفة أو القطعة العسكرية العظيمة من الجيش. مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، ١٤١٦هـ/ ١٩٨٦م، ص٣٦٦.

(٣) المقريزي، السلوك، ج١ ق٣/ ص٩٣٢، ابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق١، ص٤١٣، عباس عباس إقبال، تاريخ المغول، ص٢٨٣، السير وليم موير، تاريخ دولة المماليك، ص٧٣، عبد السلام عبد العزيز فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص٢١٠. فايد حماد عاشور، العلاقات السياسية، ص١٦٧، أحمد عبد الكريم، المغول والمماليك، ص٥٧، Howorth, part 3p, 469.

(٤) أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٤/ ص٤٧، عباس إقبال، تاريخ المغول، ص٢٨٢، السير وليم موير، تاريخ دولة المماليك، ص٧٢، فايد حماد عاشور، العلاقات السياسية، ص١٦٥، مصطفى طه بدر، مغول إيران، ص١٠٨، أحمد عبد الكريم، المغول والمماليك، ص٥٧، عبد العزيز فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص٢١٠، Howorth, part 3p, 469.

(٥) اليافعي، مرآة الجنان، ج٤/ ص٢٣٥، ابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق١/ ص٤١٤، الحنبلي، الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦/ ص٤، عباس إقبال، تاريخ المغول، ص٢٨٣، فايد حماد عاشور، العلاقات السياسية، ص١٦٧، مصطفى طه بدر، مغول إيران، ص١١٥.

رأس من الماشية. وكان لهذا الانكسار أبلغ الأثر في نفس غازان الذي استقبل قادة جيشه بالضرب والإهانة(١). في حين استقبل المماليك نبأ هذا الانتصار بكل مشاعر الفرح والاعتزاز بسلطانهم الناصر محمد بن قلاوون.

وبذلك يكون المماليك قد أثبتوا للعالم الإسلامي أنهم حماة للدين الإسلامي وأنهم قادرين على هزيمة، كل من تسول له نفسه الاعتداء على أراضي دولتهم .

والواقع أنه بعد هذه الموقعة لم تقم لغازان وللمغول قائمة، وكان لهذه الموقعة، نتائج بالغة إذ أن التتار قضي على أغلب جيشهم في هذه الموقعة فانتشر الحزن في بلادهم، وهم الذين كانوا يعتقدون أنهم قوم لا يهزمون، أما غازان فقد اغتم غماً عظيماً لما علم بهزيمة جيشه وأصابه الحزن الشديد والحمى، ولم يلبث أن توفي في شوال من عام ٧٠٣هـ/١٣٠٣م في مدينة الرى(٢)، وكانت مدة حكمة تسع سنوات وعشرة أشهر وهو في الثالثة والثلاثين من عمره(٣).

---

(١) أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٤/ ص٤٨، اليافعي، مرآة الجنان، ج٤ ، ص٢٣٥. الدواداري، الدرر الفاخر، ج٩/ ص٨٢-٨٥. المقريزي، السلوك، ج١ ق٣، ص٦٣٢، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨/ ص١٢٤، ابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق٣/ ص٩٠٢، عباس إقبال، تاريخ المغول، ص٢٨٤، السير وليم موير، تاريخ دولة المماليك، ص٧٣، عبد العزيز فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص٢١٠، فايد حماد عاشور، العلاقات السياسية، ص١٧٢، أحمد عبد الكريم، المغول والمماليك، ص٥٩. Howorth, part 3p, 475.

(٢) الرى : مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن، كثيرة الفواكه والخيرات، محط الحجاج بناها فيروز ابن يزدجر بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخاً. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣/ ص١١٦، أبو الفدا، تقويم البلدان، ص٤٢١.

(٣) أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٤/ ص٥٠، الدواداري، الدر الفاخر، ج٩/ ص١١٢، المقريزي، السلوك، ج١ ق٣/ ص٩٥٤، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨/ ص١٦٩، ولد شبور، العالم الإسلامي في العصر المغولي، نقله إلى العربية خالد سعد عيسى، مراجعة سهيل زكار، دمشق، دار إحسان، ١٩٨٢م، ص٧٥، عباس إقبال، تاريخ المغول، ص٢٨٥، وليم السير موير، تاريخ دولة المماليك، ص٧٣، عبد السلام عبد العزيز فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص٢١١، أحمد عبد الكريم، المغول والمماليك، ص٥٨، مصطفى طه بدر، مغول إيران، ص١٢١، فايد حماد عاشور، العلاقات السياسية، ص١٧٣، Howorth, part 3p, 469.

إصلاحات السلطان غازان :

عندما وصل غازان إلى الحكم عام ٦٩٤هـ/١٢٩٥م كانت خزائن الدولة خالية من الأموال والولايات خربة إلى حد كبير، بسبب سوء تدبير الوزراء والحكام السابقين. لذلك اتجه بعد ترتيب شؤون دولته، إلى تدبير أمور الولايات، فيما يخص ضبط الأموال وتحصيل الضرائب، فكان يجلس كل يوم من الصباح الباكر، يقرر الأمور ويضبطها، ووضع قانون لتنظيم سير العمل(١).

أما الولايات فأسندها إلى أشخاص أقوياء يتولوها لمدة ثلاث سنوات، وأوكل إليهم تحصيل الأموال، التي بدأت تصل إلى خزانة الدولة، وصار الدخل يتزايد(٢)، فقد كان الخراج يفرض وفقاً لأهواء حكام المغول وأعوانهم، فأمر أن تمسح الأراضي كلها من جديد، وأن يكون ذلك أساساً في فرض الضريبة(٣).

كانت مهمة جمع ضرائب الولايات قبل عهد غازان، تسند للولاة وحكام الأقاليم بالمقاولة، بحيث يوجه جزء منها للنفقات الضرورية ورواتب رجال الدين، ويسلم الباقي للمبعوثين المكلفين بذلك من قبل الديوان بإيصالات بتوقيعهم، وكان هؤلاء الولاة والحكام غالباً ما يتصفون بالظلم والجشع، وكان منهم من يطالب رعاياه بالضرائب عدة مرات في السنة الواحدة. فكلما جاء أحد المبعوثين من مخيم الإيلخان لتحصيل الضرائب، كان الوالي يتزرع بذلك ليطلب من الأهالي ضرائب جديدة لسداد

(١) جوزيف نيندهام، موجز تاريخ العلم والحضارة في الصين، ترجمة محمد غريب جودة، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٥، ص٢٤، لسترانج، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس، بغداد، مطبعة الرابطة، ١٣٧٣هـ، ص٣٥، فؤاد عبد المعطي الصياد، المغول في التاريخ، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧٠م، ص١٢٠-١٢١.

(٢) الهمداني، جامع التواريخ، ح٢/ ص١٣٨-١٣٩-١٥١-١٦١، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٣٦٤، الدواداري، الدر الفاخر، ح٣/ ص١١٢، عباس إقبال، تاريخ المغول، ص٢٨٤.

(٣) عبد السلام عبد العزيز فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص٢١٢.

نفقات سفر المبعوث، وتكاليف إقامته، وتقديم هدايا للإيليخان. وبعد تحصيل ذلك يحتفظ الوالي بالجزء الأكبر منها لنفقته، ويوزع الباقي على محصلي الضرائب حتى يتستروا على هذه التعديات، ولا يدرجوا الأموال المحصلة في الدفاتر الديوانية[١]. كذلك لم يكن حكام الولايات يدفعوا أموالاً للخزانة الحكومية ولا رواتب، وكانوا في بداية كل سنة يحيلون أصحاب الرواتب للتقاعد، بدعوى ضرورة البدء بسداد نفقات الخزانة ومبعوثي الديوان، ويظل أصحاب الرواتب على بؤسهم وفقرهم وكان الأهالي يضجون من ظلم الولاة، فيهجرون أوطانهم وبلادهم فيها الخراب في المدن والقرى. وكان العاملين في الديوان والوزراء ضالعين في فرض الظلم وكانوا يستعينون بالرعاع والأوباش لملاحقة الرعية ونساءهم وأطفالهم.

وقد تأثر غازان بهذه الأوضاع تأثراً شديداً، وشرع في ترتيب نظام تحصيل الضرائب، وكف أيدي الموظفين والولاة عن الظلم، وتخليص الناس من العسف، وأمر بعدم مطالبة الناس بالضرائب إلا مرة واحد في السنة، وأرسل إلى كل ولاية محصلاً خاصاً لإعداد قائمة بعوائد كل القرى، وإرسالها إلى غازان كما أمر بحصر الأملاك الخاصة والأوقاف، وتحديد أسماء المستفيدين من عوائدها خلال الثلاثين سنة الأخيرة، واستن لكل ولاية ما يعرف بقانون الأموال. وبعد وصول هذه القوائم إلى الديوان وتنقيحها، يقوم موظفوا الديوان بتحديد العوائد السنوية المفروضة وتثبيتها في الديوان[٢]، ويقوم كبار موظفي الديوان بختم قائمة ضرائب كل ولاية ووضع الدفعة عليها كما أمر غازان بعدم قيام الولاة والمحصلين بكتابة حوالات على الرعايا، ومن يخالف ذلك من الولاة يعاقب وتقطع يد كاتبها[٣]. ونتيجة لهذا النظام الجديد، بدأ

(١) عباس إقبال، تاريخ المغول، ص٢٩٠.
(٢) عباس إقبال، تاريخ المغول، ص٢٩٢.
(٣) عباس إقبال، تاريخ المغول، ص٢٩٢.

العمران والرخاء يعود إلى الولايات بعد عامين أو ثلاثة، وآلت أموال الخزانة كاملة إلى الديوان، ولكي تظل هذه القوانين ثابتة وسارية، ولا تتم مطالبة الأهالي بأعباء إضافية، أمر غازان بحفظ قوائم الضرائب والأملاك والأوقاف وأسماء المستفيدين، في المكتبة التي أنشأت في تبريز[١].

العمارة :

اهتم غازان بالتشييد والعمران، وعين الأمراء المهتمين بالعمران، ووفر لهم المهندسين المعمارين، فاستخدموا جميع الآلات بأسعار معقولة وأجور مناسبة، وذلك لتشجيع التشييد والتعمير. مع أهمية المحاسبة في حال التقصير. وهكذا سارت العملية بدقة شديدة[٢]. وترتب على ذلك تشييد المباني في كل مدينة وولاية. وشقت الأنهار والقنوات منها نهر كبير للغاية أجراه في ولاية الحله[٣]، أطلق عليه اسم النهر الغازاني الأعلى[٤]. وأجرى الفرات إلى كل صحاري سهل كربلاء[٥] التي كانت قاحلة. أما مدينة تبريز[٦] التي كانت عاصمة البلاد، فقد كان لها سور صغير، وخارج المدينة يوجد مباني كثيرة، فأمر ببناء سور كبير يضم كل المباني والمنازل،

(١) عباس إقبال، تاريخ المغول، ص٢٩٢.
(٢) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٢٣٣، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج٩/ ص١٧٣، ابن إياس، بدائع الزهور، ج١/ ص١٠٥، القزاز، الحياة السياسية، ص٢٩٤-٢٩٥.
(٣) الحله : تقع قرب بغداد في طرف نهر دجيل بينها وبين بغداد ثلاثة فراسخ. البغدادي، مراصد الإطلاع، ج١/ ص٤١٩.
(٤) النهر الغازاني : أطلق اسم السلطان غازان على النهر الذي أمر بحفره في مدينة الحله. ابن خلدون، العبر، ج٥/ ص٦١٧، الهمداني، جامع التواريخ، ص١٢٥-١٢٨.
(٥) كربلاء :هو الموضع الذي قتل فيه الحسين بن علي رضي الله عنه في طرف البرية عند الكوفة، وكربلاء من الكربله وهي رخاوة أرضه. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤/ ص٤٤٥، أبو الفدا، تقويم البلدان، ص٣٠٥.
(٦) تبريز : أشهر مدن أذربيجان وهي مدينة عامرة حسنة ذات أسوار محكمة بالأجر والجص فيها أنهار جارية والبساتين محيطة بها. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢/ ص١٣، أبو الفدا، تقويم البلدان، ص٤٠٠، القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤/ ص٣٥٧، ح٧/ ص٢٥٧.

وأمر بتنظيف الطرق المحيطة بها من الأحجار وإقامة الجسور على الترع[١]. كما أمر ببناء مدينة كبيرة أطلق عليها اسم الغازانية[٢]. وأمر أن ينزل فيها التجار الواصلين إليها، من الروم والإفرنج، حيث يفرغون أحمالهم. ويدفعوا نفس قيمة الضرائب التي يدفعوها في تبريز[٣]. وأمر أن يبنى عند كل بوابة من بوابات المدن، خان كبير وأسواق وحمامات واسطبل للدواب، حتى يدخلها جميع التجار الوافدين إليها من مختلف الجهات، وأمر أن يجلب إليها أنواع الأشجار المثمرة والرياحين والحبوب التي لم تكن في تبريز، وقد نمت وازدهرت. كما اهتم غازان اهتماماً كبيراً ببناء المساجد لأداء الصلاة، وقد زاد عدد المساجد في عهده، كما أنه حول عدداً من الكنائس والمعابد إلى مساجد، وأمر ببناء الحمامات حتى يستطيع المسلمون المغول الوضوء لأداء الصلاة، وأصبحت أجور استخدام الحمامات تخصص للصرف على المساجد من تعمير وفرش وصرف أجور الخدم الذين يتولون تنظيفها وإضاءتها [٤]، وأوقف على مصالح دورة المياه والحمام للسبيل الشمع المذاب والعطور والأباريق والجرار، والأكواز والمآزر والعطور، ووقود لموقد الحمام والعمال والوقاد[٥].

(١) عباس إقبال، تاريخ المغول، ص٣٠٦، مصطفى طه بدر، مغول إيران، ص٣١.
(٢) الغازانيه : مدينة بناها غازان خارج أسوار مدينة تبريز وسميت الغازانيه نسبة إليه. بها مدرسة وزاوية يتوفر فيها الطعام من الخبز واللحم والأرز للصادر والوارد. وبها أنهار متدفقة وأشجار وأسواق عظيمة. ابن بطوطة تحفة النظار، ص٧٦، الصياد، المغول في التاريخ، ص١٢٠-١٢١.
(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ٤/ ص٣٥٦، النويري (شهاب الدين أحمد عبد الوهاب) نهاية الإرب في فنون الأدب، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٧٤هـ، ح٨/ ص٣٤٣، ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢/ ص١٠٥، الهمداني، جامع التواريخ، ص٣٩١، عباس إقبال، تاريخ المغول، ص٢٣١.
(٤) النويري، نهاية الإرب، ج٨/ ص٣٤٣، ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢/ ص١٠٦، عباس إقبال، إقبال، تاريخ المغول، ص٢٣١. إسماعيل عبدالعزيز الخالدي، العالم الإسلامي والغزو المغولي، الطبعة الأولى، الكويت، مكتبة الفلاح، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص٢٣٣.
(٥) الهمداني، تاريخ المغول، تاريخ غازان، ص٤٢٧.

من الأمور الطريفة التي نص عليها الواقف هي وقفيته في نثر الحبوب على أسطح منشآته لتغذية الطيور في الشهور الباردة من كل سنة، وشراء الجرار للغلمان والجواري الذين يكسرون جرارهم عند ذهابهم لجلب الماء ويخافون الرجوع إلى سادتهم بدونها(١).

ومن إصلاحاته أن جعل من سهول كربلاء القاحلة أرضاً مزروعة، بأن أجرى إليها القنوات من نهر الفرات. وبنى منازل في جميع المدن الكبرى مثل تبريز واصفهان وشيراز، لإقامة أبناء علي وسماها دور السادات، وخصص أوقاف للصرف عليها(٢).

وقد ذكر المؤرخ عباس إقبال(٣) " أن غازان أراد أن يتشبه بملوك المسلمين، فبنى مقبره له في حياته، وخصص لها الأوقاف ليتعيش منها الزهاد وأهل التقوى ويذكرونه بالخير بعد وفاته، فأنشأ قبة تعد من عجائب العمارة الإسلامية في مدينة تبريز. وقد نقشت من الداخل والخارج بنقوش وخطوط جميلة، وعلق في داخل القبة قناديل من الذهب والفضلة. ثم أمر غازان بوقف أملاكه في إيران والعراق لهذه القبة للصرف عليها. وأمر بإنشاء عدة مبان حول القبة هي المسجد الجامع، والمدرسة الشافعية، والمدرسة الحنفية وخانقاه للمتصوفة، ودار السيادة لإقامة الأشراف، ومرصد ومستشفى ودار للكتب، ودار القانون لحفظ الدفاتر والقوانين التي سنها غازان خان ودار المتولي لتنظيم شؤون الناس وإقامتهم، وحكمية لإقامة الحكماء وتعليم الحكمة، وبستان وقصر العادلية، وحمام وعين غازان عدداً من حفظة القرآن لخدمة مقبرته ودار السيارة والخانقاه والحمام، وعدداً من أمناء المكتبات لدار الكتب،

(١) مصطفى طه بدر، مغول إيران، ص٣٠.
(٢) مصطفى طه بدر، مغول إيران، ص٣١.
(٣) عباس إقبال، تاريخ المغول، ص٣٠٦.

ومعلمين للمدرستين والحكمتيه والمرصد، وأطباء وكحالين للمستشفى، وأجرى لهم روتب ثابتة على أن يواظبوا على أعمالهم. وبلغت عوائد الأوقاف التي وقفها غازان على الأبنية المذكورة مئة تومان مغولي في السنة ونظم عملية تسليم هذه الفوائد(١).

القضـــاء :

من أعمال غازان التي تستحق التسجيل أنه أعاد تنظيم القضاء، فقد اهتم غازان بالقضاء وتحقيق العدالة، وعمل على إزالة الوثائق المزورة والادعاءات الباطلة، ومنع القضاة والخطباء الذين لم يكونوا على علم تام بالعلوم الشرعية من تحرير الحجج والوثائق، وأمرهم أن يحرروها جميعاً بطريقة واحدة بحيث تراعي الأمور الشرعية، وذلك لإغلاق أبواب المنازعات بين الناس وأنشأ محكمة عليا إسلامية(٢)، وأصدر مجموعة من الأحكام والقوانين (٣):

١. مرسوم بخصوص تفويض القضاة النظر في شؤون القضاء .
٢. مرسوم بخصوص عدم إعادة النظر في القضايا التي مضى عليها ثلاثون عاماً.
٣. مرسوم بخصوص إثبات ملكية البائع قبل البيع.
٤. مرسوم بخصوص تأكيد الأحكام السابقة وتمهيد الشروط اللاحقة.
٥. مرسوم بخصوص قانون الوثائق الذي اتفق عليه جميع أئمة العصر.

---

(١) جامع التواريخ، تاريخ غازان، ص٢٤٤، ٢٤٥، ٢٥١.

(٢) الهمداني، جامع التواريخ، ج١/ ص٢٤١، الجويني (علاء الدين عطا ملك) تاريخ جهان شاي، ترجمة محمد التونجي، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ج١/ ص١٧-٢٨ ، عباس إقبال، تاريخ المغول، ص٣٠١.

(٣) الهمداني، جامع التواريخ، ج١/ ص٣٠٩، الذهبي، العبر، ج٥/ ص٣٦٦، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢/ ص٣٤٣. ابن خلدون، العبر، ج٥/ ص١١٥٨، القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤/ ص٤٣٠، المقريزي، السلوك، ج١ ق٣/ ص٧٦٥، الحنبلي، شذرات الذهب، ٥/ ص٤١١، عبد العزيز فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص٢١٣، Howorth, Part 3 p419 ولد شبور ، العالم الإسلامي، ص٧٥.

وكان غازان لو علم أن أحداً من المقربين أو الجند قد ألحق بالرعية، مشقة أو أذى أو اعتداء، أمر في الحال أن يستردوه منه بضربه بالعصى ليكون عبره لغيره(١).

تعديل أوزان الذهب والفضة والأحمال والمقاييس :

قبل عهد غازان كانت أوزان الذهب والأموال والمساحات والأوزان الأخرى، مختلفة في البلاد لذلك كان يقع خلل كبير في الأسعار، وكان التجار يقللون من شراء البضائع لأنهم كل ما حملوا نقوداً من مكان لآخر زادت قيمتها، وإذا تفاوت الوزن تحقق الربح للتجار، وترتب على هذا كساد سوق البضائع في بعض الولايات، كما انعدم وجودها في بعضها كذلك، وكانوا يتعاملون بالأصغر مع الغرباء وبالأكبر فيما بينهم. والغريب يرضى بالأمر الواقع ، وكان القرويون يشهد الواحد منهم للآخر كذباً وزوراً على أن المكيال عدل وصحيح(٢).

فأصدر غازان مرسوماً ينص على وجوه الإصلاح والتدبير والترتيب وقال : "حيث أن كل المماليك طوع أمرنا فما الداعي إذن لوجود الاختلاف علينا أن نضبط تلك الأمور ونصلحها، بحيث تكون كل المواضيع متساوية حتى لا تبقى أوزان مختلفة، في الأسواق والولايات والقرى، ولا يستطيع التجار التلاعب والسرقة"(٣)، وقد قام غازان بإلغاء الأوراق المالية ذات القيمة التحكمية الرجراجه(٤)، والتي سبق لسلفه

(١) الهمداني، جامع التواريخ، ج١/ ص٢٤٨، الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج١/ ص١٧.
(٢) البدليسي (شرف خان شمس الدين) شرفنامه، ترجمة إلى العربية محمد علي عوني، مراجعة يحي الخشاب، القاهرة، ١٩٦٢م، ح١٢/ ص١٤.
(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١٢/ ص٢٦٩-٢٧١، الهمداني، جامع التواريخ، ج١/ ص٣٣٤-٣٣٧، الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج١/ ص٤٦-٤٨، القلقشندي، صبح الأعشى، ٤/ص٤٨٣.
(٤) عبد السلام عبدالعزيز فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص٢١٣.

أن استحدثها على الطريقة الصينية، وأحل محلها نقداً معدنياً صحيح الوزن والقيمة وكان لهذه التدابير أثرها الواضح في زيادة موارد الدولة الرسمية وكان ولاة بلاد الروم وأذربيجان وفارس وكرمان ومازندران، يضربون المسكوكات، قبل عهد غازان بمعايير مختلفة، ولما كان عيار المسكوكات غير موحد في كل أقاليم الدولة، فقد اختلفت التعاملات وتضرر التجار، وأصدر أرغون خان في عهده مرسوماً يجعل عيار الذهب والفضلة كل أقاليم الدولة تسعة أعشار، وطبق غازان هذا المرسوم نفسه. وتم جمع كل المسكوكات الزائفة من كل الأقاليم بأمر غازان، وأمر بعدم تداول أي مسكوكات عداها. وكان عمال المسكوكات يصادرون ما عداها وترسل لدار المسكوكات لضبط عيارها وانتشرت المسكوكات الغازانية التي عليها اسم غازان والشهادتان، واسم المدينة التي ضربت فيها. ونتيجة لنقاء المسكوكات الغازانية، توفر الذهب والفضة بعد أن شح من أيدي الناس في إيران(١)، كما ضرب غازان مسكوكات خاصة، تعرف بالذهب الخالص. وبلغ وزنها مائة مثقال، عليها اسمه واسم المدينة التي ضربت فيها، مع بعض آيات القرآن الكريم وأسماء لائحة الأئمة الإثنى عشر(٢).

منح جند المغول الإقطاعات في كل ولاية :

قبل عهد غازان لم يكن لجنود المغول مرتبات وإقطاعات ومؤن، وكان بعض الأكابر منهم يأخذون قدراً من الزاد، والأغلبية لا يأخذون(٣). وفي أوائل عهد السلطان غازان كان الجنود المرابطون يأخذون قليلاً من المؤنة، ويحتال المتعهدون

(١) عباس إقبال، تاريخ الدولة المغولية، ص٢٩٦.
(٢) عباس إقبال، تاريخ الدولة المغولية، ص٢٩٧.
(٣) الصياد، المغول في التاريخ، ص٥٦-٦٨.

في صرفها، ويلحق بسكان الولايات نفقات باهظة، ويدفعونها باسم الدواب والزاد والعلف(١).

ومع ذلك لم تكن تصل مؤونة كافية إلى الجنود وكان كثير منهم في مشقة من جراء ذلك، وكان الرعايا يضيقون ذرعاً بما يطالبون به من تقديم المؤن، ومع هذا لم تكن تصل مؤونة كافية إلى الجنود، وكان بعضهم في تعب بسبب مماطلة المتعهدين(٢). وقد راقب السلطان غازان هذه الأوضاع مدة أربع أو خمس سنوات، فأمر بأن يجمعوا المؤن في كل ولاية أثناء الشتاء والصيف، وقت جني المحاصيل ويقوموا بتخزينها في المخازن، وتودع في عهدة شحنة الولاية، ثم تسلم إلى المسؤولين بعد سداد قيمة الحوالة نقداً، ولا يأخذ المشرفون على تموين الجيش هدايا في مقابل أداء واجبهم(٣).

وفي عام ٧٠٣هـ/١٣٠٣م صرح السلطان غازان قائلاً: إن كمية المؤن التي عينت للجنود لا تكفي شخصين من كل عشرة، وأنه يريد أن يعم الأنعام جميع الجنود(٤). ولذلك عمل غازان على إعطاء الجنود إقطاعات من ضفاف نهر جيحون(٥) حتى حدود مصر، كما أن عدد جيش المغول كان قليلاً قبل تولي السلطان غازان، فزاد عدده حيث دعت الحاجة إلى أهمية انتقال الجند من ناحية إلى

(١) الهمداني، جامع التواريخ، ص١٢٥-١٢٨، ابن خلدون، العبر، ج٥/ ص٦١٧، الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦/ص٩.
(٢) رشيد الدين، جامع التواريخ، ص١٢٥-١٢٨، ابن خلدون، العبر، ج٥/ ص٦١٧، الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦/ص٩.
(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣/ ص٣٠٨.
(٤) الهمداني، جامع التواريخ، ص٢٠٣، الذهبي، دول الإسلام، ج٢/ ص٩١، العيني، عقد الجمان، ج١/ ص٢٨٢.
(٥) نهر جيحون : هو نهر عظيم يأتي من موضع يقال له ريوساران وهو جبل ناحية السند ويمر بإقليم خوارزم ويصب في بحيرة خوارزم. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢/ ص١٩٦، أبو الفدا، تقويم البلدان، ص٦١، الحميري، الروض المعطار، ص١٨٥.

ناحية أخرى[١]. كما أمر بتعيين جنود للمرابطة على المضايق والأماكن الوعرة على الحدود، ومنح الجميع مرتبات وإقطاعيات[٢].

وأمر بتعيين الكتائب والفرق، وكتابة أسماء الجنود ورتبهم في سجلات، وهم مطالبون بالعرض في كل شهر لتفقد عتادهم وعددهم من فرسان ومشاه. وهكذا نظم الأمور بحيث زاد عدد الجيش إلى مائتين ألف جندي، وأصبحت كل الثغور محفوظة ومضبوطة وآمنة، ولكل منها جيش مستقل[٣].

التجارة :

نتيجة للعمران والطرق الآمنة أصبحت الممالك الإيلخانية، خاصة منذ عهد غازان مركزاً هاماً للتجارة والمقايضة، وتحولت تبريز بصفة خاصة إلى أكبر سوق تجاري بين الشرق والغرب، فقد كانت أغلب الطرق التجارية الكبرى تنتهي إليها، نظراً لموقعها المهم وكونها العاصمة. فكان لها مكانة اقتصادية وتجارية هامة، وتعتبر من أكبر مدن العالم آنذاك .

ودخل إيلخانات إيران مجال المنافسة التجاري مع المماليك في مصر والشام، ونجحوا في تحويل طرق التجارة إلى تبريز. وقد أتت جهودالإيلخانات ثمارها، بافتتاح أقصر طريق تجاري بين الشرق والغرب، وبدأ الاتصال بين إيران وأوروبا، وظلت حركة القوافل منتظمة والطرق آمنة وازدهرت التجارة طوال عهد الإيلخانات[٤].

(١) الهمداني، جامع التواريخ، ج١/ ص٢٣٤، النويري، نهاية الإرب، ج٢٧/ ص٣٨٣، العيني، عقد الجمان، ج١/ ص٢٨٢، العبري، تاريخ مختصر الدول، ٢٥٧، القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤/ ص٣٠٨-٣٠٩-٤٨٥.
(٢) الهمداني، جامع التواريخ، ج٢/ ١٧٤، الجويني، تاريخ جهانكشاى، ج١/ص٥٠.
(٣) الهمداني، جامع التواريخ، ج٢/ ص٣٩١، القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤/ ص٣٥٦.
(٤) عباس إقبال، تاريخ المغول، ص٢٩٨-٢٩٩.

الزراعـة :

أدى الزحف المغولي إلى تدمير العديد من الممالك والثغور، مما دفع غازان إلـى الاهتمـام بالبنـاء والتعمير، وأعلن أن الأراضـي البور هي ملك للدولـة، وأمر أن تسجل في سجلات وتحمل إلى الديوان لاتخاذ الإجراء بشأنها من حيث تسليمها إلى الأفراد للاهتمام بها، حيث أمر غازان أن يترك مبلغ من ضرائب كل ولاية للولاة، يخصص للنفقات الزراعية، على أن يطالبوا بالنتائج في السنة التالية[١]. فعمرت الأراضـي البـور وبـدأت الأمـوال تتـدفق علـى خزانـة الدولـة، ونعمـت الـبلاد بالتقـدم والازدهار، وأصحاب الأراضي بالاستقرار والرخاء[٢].

البريـد :

كـان المعـول قبـل عهـد غـازان يـتم إيفـاد مبعـوثين لإنجـاز المهـام الحكوميـة، وإبـلاغ الأخبـار للمـدن، وقـد أسـيء اسـتخدام هـذا التقليـد فـي عهـد الأيلخانـات، فكـان أمراء المغول وقوادهم يعطون خدامهم لقب مبعوثين ويوفدونهم للولايات، ومع أنه كان بكل محطة بريد خمسمائة حصان للركوب، إلا أن المبعوثون لم يكونوا يجدون ما يكفي لأسفارهم، فكانوا يستولون على جياد أي شخص يصادف وصوله إلى المحكة، ولم يستثن من ذلك القضاة والعلماء والأشراف المسافرون إلى مخيم الإيلخان، كما كانوا يستولون على ما يشاؤون باسم العلف من أهالي القرى التي يمرون بها. وكان يتم استضافة مسؤولي المبعوثين في بيوت الأهالي. ولكن غازان أبطل ذلك وأمر بإنشاء محطة بريد خاصة لمبعوثي الإيلخان المكلفين بمهام حكومية في كل ثلاث

(١) عباس إقبال، تاريخ المغول، ص٢٩٩.
(٢) الهمداني، جامع التواريخ، ج١/ ص٣٣٤-٣٣٧، الصياد، المغول في التاريخ، ص١٢٠-١٢١، لسترانج، بلدان الخلافة الشرقية ، ص١٣٠.

فراسخ، وبتخصيص خمسة عشر جواداً في كل محطة وكل مبعوث معه وثيقة مدفوعة ويحصل من المحطة على عهد بإدارة كل محطة لأحد كبار الأمراء، وأعطي لولاة الحدود مقداراً من الورق الأبيض الممهور ليعطوه لمبعوثيهم في حالة الضرورة. وأمر بعدم إعطاء كل مبعوث أكثر من أربعة حمر، وإذا كان أحدهم يحمل أخبار عاجلة، يقوم الوالي بختم رسالته وتسليمها لعامل المحطة، لكي يركب أحد خيول المحطة، ويوصلها إلى المحطة التالية، وهكذا حتى تصل الرسالة إلى المخيم، فكان عمال المحطة يقطعون ستين فرسخاً كل يوم(١).

وكان المتبع أنه إذا وصل المبعوث في الموعد المحدد، ووفى بشروط السرعة يتم إرسال دائرة أسفل الرسالة يمر قطرها من القمة إلى الوسط، ويصل أسفلها، وإذا تكاسل وتأخر ساعة ترسم دائرة قطرها أفقي من الشرق إلى الغرب، وحين يقف عمال المحطة على تهاونه وإهماله يبلغون الولاة ليعاقبوه ويعينوا بديلاً على الفور. كما أمر غازان بإعطاء المبعوث نفقات الطريق. وبإنشاء منازل تعرف باسم "بيت المبعوث" أيلجي خانة في كل مدينة ليقيموا بها، وعدم أحقية أحد عدا السلطان في إيفاد المبعوثين(٢).

الأوزان والمكاييل :

كانت الأوزان ومعايير الكيل قبل عهد غازان، تختلف من ولاية إلى أخرى، فكان وزن العشر يختلف اختلافاً كبيراً، مما أدى إلى نشأة الخلافات دائماً بين حملة الحوالات المالية، محصلي الضرائب والرعايا. وكانت ذريعة في أيدي الفاسدين،

(١) عباس إقبال، تاريخ المغول، ص٢٩٤.
(٢) عباس إقبال، تاريخ المغول، ص٢٩٤.

لتحصيل مبالغ أكبر من المبالغ المقررة ظلماً وعدواناً. وكانوا يسلبون من أموال الرعية ما يريدون، بدعوى اختلاف الموازين والمكاييل. ولتوحيد الأوزان والمكاييل، أصدر غازان مرسوماً، وأرسل نسخاً منه إلى كافة الأقاليم، وعين اثنين مكلفين بتوحيد معايير أثقال وزن الذهب والفضلة والمكاييل في كل مكان، على أن تضع من الحديد وتختم[١]، والالتزام بتنفيذ الأوامر التالية:

١. أن يكون أثقال وزن الذهب والفضة، مساو للوزن الرسمي المعمول به في تبريز، وأن يكون مثمن الشكل. وتعيين اثنين من الثقاة في كل ولاية لمطابقته مع نظيره في تبريز بحضور المحتسب.
٢. في وزن الأحمال قيام الثقاة بوضع أثقال مثمنة الشكل من الحديد تطابق أوزان تبريز وختمها، وتم صنع أحد عشر فئة من الأوزان[٢]. وفي المكاييل أمر غازان بإلغاء كافة المكاييل السابقة، التي تعرف بالكيل والقفز والإبقاء فقط على المكاييل المطابقة لمكاييل تبريز، ووضع مكاييل خاصة باللبن والخل والزيت[٣].

المراسيم والفرمانات :

من إصلاحات غازان إصلاح نظام المراسيم والفرمانات، والذي كان ساء بدرجة كبيرة في عهد من سبقه من الإيلخانات، بحيث أن كل من أراد تسهيل أعماله، كان عليه الرجوع إلى أحد الأمراء والوزراء، للحصول على توصية بما يريد، فأمر

(١) عباس إقبال، تاريخ المغول ، ص٢٩٧.
(٢) عباس إقبال، تاريخ المغول، ص٢٩٧.
(٣) عباس إقبال، تاريخ المغول، ص٢٩٨.

غازان ألا يقوم أي من الأمراء أو الوزراء بعرض أي من المهام الملكية عليه في مجالس الشراب، وأن كل حكم يصدر يتم الاحتفاظ بنسخه منه، ثم يتم عرضه عليه ليصدر المرسوم وفقاً له . وكان غازان على خلاف من سبقه يحتفظ بمفتاح الصندوق الذي كان يضم الختم الأعظم، وعندما كان يجتمع له عدة مراسيم جاهزة للختم، يختمها ثم يعيد المفتاح إلى الصندوق. ويتم تدوين ملحوظات عن المراسيم من كتبها وتاريخها وقام بعرضها. ويتم تخصيص دفتر لذلك يجدد سنوياً، وكانت الأختام التي تعطى للولاة لا تسترد بعد عزلهم، وكثيراً ما كانوا يستخدموها، فأمر غازان بجمع كل الأختام السابقة وإعطاء السلاطين والولاة وقواد الجيش، خاتماً كبيراً نقشت عليه رأس واسم الشخص الذي تسلمه، وتسجيل أسماء حملة هذه الأختام. وكان يعهد بمهمة صنع الخاتم لصانع أمين لديه ختم خاص يمهر به الخاتم، في حضور نواب غازان حتى لا يتمكن أحد من تزويره[١].

(١) عباس إقبال، تاريخ المغول، ص٢٩٩-٣١٠.

الخاتمة

وهكذا رأينا أن غازان بمجرد اعتلائه العرش المغولي، وإعلان إسلامه أخذ يسعى جدياً أن يجبر النقص الذي حدث في كل أجهزة الدولة نتيجة لأخطاء من سبقه، وبذل كل ما يملكه من طاقة جبارة وعزيمة قوية، وبمساعدة وزراء أكفاء، حيث سعى في تغيير جميع جوانب الحياة التي أصابها الخلل، فاستطاع أن يعيد الأمن والاستقرار لبلاده. أما موضوع أن إسلامه لم يكن له تأثير في توطيد علاقته بالمماليك في مصر والشام، وأنه فضل أن يسير على سياسة من سبقه من إيلخانات المغول، وأنه قضى فترة طويلة من حكمه في محاربة المماليك، وكان أحرى به أن يتعاون مع المماليك، فإن تفسير هذا الأمر ليس عسيراً، إذا علمنا أنه اعتبر نفسه حامياً للإسلام، بعد أن قامت العساكر المملوكية بغزو ماردين وديار بكر وأزهقت أرواح المسلمين، فهو يعتبر أن سلاطين مصر ظالمين، وأنه هو القادر على توجيه الضربات إليهم.

وبعد... فنحن لا نشكك في إسلام غازان، وقد نقش عمله عليها عبارة لا إله إلا الله، وتسمى باسم محمود، وذكر اسمه في خطبة الجمعة، وأمر أن تتوج رؤوس الكتب والفرمانات بعبارة الله أكبر وأمر أن يتحول جميع المغول إلى الإسلام وبذلك يكون الإسلام قد انتصر في شخصية غازان على البوذية ولم ينتشر الإسلام بين المغول بحد السيف، ولكن بجهود السلطان غازان، فبفضل جهوده تم خدمة الدعوة الإسلامية في هذا الجزء من العالم، خدمة عظيمة لم يسبقه إليها أحد من ملوك، المغول السابقين، حيث استطاع أن يقضي على الهوة التي كانت تفصل بين الحكام والمحكومين، مما ساعد على اندماج المغول في المجتمع الإسلامي، واشتد تأثرهم بالبيئة الحضارية الإسلامية، لقد استطاع غازان أن يغير الكثير من سلوك المغول،

وترك عادات المغول وتقاليدهم القديمة، واستطاع مجابهة الدسائس والمؤامرات التي كانت تحاك ضده وضد كبار معاونيه من القواد والساسة. ووضح من خلال الدراسة الحروب التي خاضها غازان ضد المماليك والتي انتهت بهزيمته.

نستطيع أن نقول أن حكم غازان هيأ للمغول، فترة هدوء كفوا فيها أيديهم عن القتل والتدمير، وأصبحوا أكثر قدرة على التحضر، فاستقرت أمورهم، وأنه لتندهش لما قام به غازان من أعمال مجيدة للنهوض بدولته وشعبه.

قائمة المصادر والمراجع

أولا : قائمة المصادر :

ابن الأثير ، أبي الحسن علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م).

١)الكامل في التاريخ ، بيروت ، دار الفكر ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

ابن اياس ، ابو البركات محمد بن احمد (ت ٩٣٠هـ/١٥٢٤م) .

٢)بدائع الزهور في وقائع الدهور ، دار الفكر ، ١٤٠٤هـ.

البدليسي ، شرف خان شمس الدين (ت ١٠٠٥هـ/١٦٠٣م) .

٣)شرفنامه ، ترجمة إلى العربية محمد علي عوني ، راجعه وقد له يحيى الخشاب ، القاهرة، ١٩٦٢م .

ابن بطوطه ، ابو عبد الله الطنجي (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م).

٤)تحفه النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني .

ابن بهادر ، ابو عبد الله محمد بن محمد (ت ٧٩٤هـ/١٣٩٢م).

٥)فتوح النصر في تاريخ ملوك مصر ، القاهرة ، دار الكتب المصرية.

بنيامين الأندلسي ، ابن بونه التطيلي (ت ٥٦٩هـ/١١٧٣م).

٦)رحلة بيامين، تعريب عزر احداد ، بغداد ، ١٩٤٥م

ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)

٧) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تحقيق محمد حسين ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

الجوزجاني ، ابو عمر عثمان بن سراج الدين (ت ٢٥٩هـ/٨٧٢م.

٨)طبقات ناصري ، تعليق عبد الحميد جيبي ، الطبعة الثانية ، كابل ، ١٣٣٢م.

الجويني ، علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين (ت ٤٧٨هـ/١٠٨٥م)

٩)تاريخ جهانكشاي ، ترجمة محمد التونجي ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين ابو الفضل أحمد (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م)

١٠)الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م

الحموي ، ياقوت بن عبد الله البغدادي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)

١١)معجم البلدان ، بيروت ، دار صادر ، ٢٠٠٥م

الحميري ، محمد بعد الملك بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ/٥١٢م)

١٢)الروض المعطار في خبر الأقطار ، الطبعة الثانية ، بيروت ، مطبعة دار السراج ، ١٩٨٠م .

ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ، ١٤٠٦هـ)

١٣)ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م

ابن دقماق ، صارم الدين ابراهيم (ت ٨٠٩هـ/١٤٠٦م)

١٤)الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين ، تحقيق محمد كمال الدين ، بيروت ، عالم الكتب ، ١٤٠٥هـ.

الدواداري ، ابي بكر عبد الله بن ايبك (ت ٧٣٦هـ، ١٣٣٥م)

١٥)كنز الدرر وجامع الغرر ، الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر ، تحقيق هانس روبرت/ ويمر) القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٠م

الذهبي ، شمس الدين ابو عبد الله (ت ٧٨٤هـ /١٢٨٢م)

١٦)دول الإسلام ، تحقيق فهيم شلتوت ومحمد إبراهيم ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤م .

الذهبي ، ابو الفلاح عبد الحي (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)

١٧)شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م .

ابن سعيد الاندلسي ، ابو الحسن علي بن موسى (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م)

١٨)كتاب الجغرافيا ، تحقيق اسماعيل العربي ، الطبعة الأولى ، بيروت ، المكتب التجاري ، ١٩٧٠م .

الصفدي ، الحسن ابن ابي محمد (ت ٧٢٠هـ/١٣٢٠م)

١٩)نزهة المالك والمملوك ، تحقيق عمر بن عبد السلام تدمري ، الطبعة الأولى، بيروت ، المكتبة العصرية ، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م .

ابن طباطبا ، فخر الدين محمد (ت ٧٠٩هـ/١٣٠٩م)

٢٠)الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، تحقيق عبد القادر علي محمد البجاوي ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م .

ابن العبري ، ابو الفرج جمال الدين (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م)
٢١)تاريخ مختصر الدول ، صححه وفهرسه الأب انطون صالحاني اليسوعي ، بيروت ، دار الرائد اللبناني ، ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م .
العيني ، بدر الدين محمود (ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م)
٢٢)عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، تحقيق محمد محمد أمين ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٤٠٧هـ.
أبو الفدا ، عماد الدين اسماعيل (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م)
٢٣)المختصر في أخبار البشر ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٧هـ.
٢٤)تقويم البلدان ، تصحيح رينود ماك كوكين ديسلان ، باريس ، دار الطباعة السلطانية ، ١٨٥٠م.
ابن الفرات ، ناصر الدين محمد (ت ٨٠٧هـ/١٤٠٥م)
٢٥)تاريخ ابن الفرات ، الطبعة الثانية ، بيروت ، الجامعة الأمريكية ، ١٩٣٨م.
ابن فضل الله العمري ، شهاب الدين ابو العباس (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٩م)
٢٦)مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق محمد عبد القادر خريسات ، الإمارات المتحدة ، مركز زايد ، ٢٠٠١م
القلقشندي ، ابو العباس أحمد ، (ت ٨٢١ هـ/١٤١٨م)
٢٧)صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة.
٢٨)مآثر الأنافة في معالم الخلافه ، تحقيق عبد الستار احمد فراج ، الكويت ، وزارة الإرشاد والأنباء ، ١٩٦٤م .
ابن كثير ، ابي الفداء اسماعيل (ت ٧٧٤ هـ، ١٣٤٣م)

٢٩)البداية والنهاية ، تحقيق أحمد ملحم ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، دار الريان للتراث ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

المقريزي ، تقي الدين أحمد (ت ٨٤٥هـ/١٤١٨م)

٣٠)السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م .

٣١)المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، القاهرة ، مطبعة النيل ، ١٤٢٦هـ.

النسوي ، محمد بن احمد بن علي (ت ٦٤٧هـ/١٢٤٩م)

٣٢)سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، تحقيق حافظ حمدي ، القاهرة، دار الفكر العربي ، ١٩٥٣م .

النويري ، شهاب الدين احمد (ت ٧٣٢هـ، ١٣٣٢م)

٣٣)نهاية الأرب في فنون الأدب ، القاهرة ، دار الكتب المصرية ، ١٣٧٤هـ.

الهمداني ، رشيد الدين بن فضل الله (ت ٦٣٨هـ/١٢٤٠م)

٣٤)جامع التواريخ ، نقله إلى العربية فؤاد عبد المعطي الصياد ، تاريخ غازان، الطبعة الأولى ، القاهرة، الدار الثقافية للنشر، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م .

٣٥)جامع التواريخ ، تاريخ جنكيز خان ، نسخة مصوره ميكروفيلم ، معهد إحياء التراث الإسلامي ، رقم ٩٠ .

اليافعي ، ابو عبد الله بن اسعد (ت ٧٦٨هـ/١٣٦٦م)

٣٦)مرآة الجنان وعبرة اليقظان في ما يعتبر من حوادث الزمان ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م .

ثانيا : المراجع العربية والفارسية والمترجمة إلى العربية :

إقبال، عباس

١)تاريخ المغول منذ حملة جنكميز خان حتى قيام الدولة التيمورية، ترجمة عبد الوهاب علوب، أبو ظبي، الإمارات المتحدة، دار العلوم.

الباشا ، حسن

٢)الألقاب الإسلامية، القاهرة، دار النهضة المصرية، ١٩٧٨.

بدر، مصطفى طه

٣)مغول إيران بين المسيحية والإسلام، القاهرة، دار الفكر العربي.

السيد ، محمود

٤)التتار والمغول، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ٢٠٠١م.

السير، وليم موير

٥)تاريخ دولة المماليك في مصر، ١٢٦٠-١٥١٧م، ترجمه إلى العربية محمود عابدين وسليم حسن، الطبعة الأولى، القاهرة، مطبعة المعارف، ١٣٤٢هـ/١٩٢٤.

شلبي، أحمد

٦)موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٣م.

الصياد، فؤاد عبد المعطي

٧)المغول في التاريخ، الطبعة الأولى، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٨١م.

عاشور، فايد حماد

٨)العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٤م.

العريني ، السيد الباز

٩)المغول، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨١م.

فهمي، عبد السلام عبد العزيز

١٠)تاريخ الدولة المغولية في إيران، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨١م.

سليمان، أحمد عبد الكريم

١١)المغول والمماليك في عهد دولة بني قلاوون، الطبعة الأولى، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٤م.

القزاز، محمد صالح

١٢)الحياة السياسية في عهد السيطرة المغولية، النجف، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

لسترانج ، كي

١٣)بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشر فرنسيس وكوركيس عواد، بغداد، مطبعة الرابطة، ١٣٧٣هـ.

مير خواند

١٤)روضة الصفا في سير الأنبياء والملوك والخلفاء، الكهنوم، ١٣٣٢هـ.

نيند هام، جوزيف

١٥)موجز تاريخ العلم والحضارة في الصين، ترجمة محمد غريب جوده، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٥م.

المصادر الأجنبية :

Babars, IF

1. Egypt by Fatima sadeque Pakistan, 1956 .

Cambridge history of Iran vol.5.

2. The seljuq and mongol peniods edited by J.A Boyle the university press, 1968.

D, ohsson , M. lebaron,
3. Histoier des mogols depuis Tchingiz khan Jusqu'a Timour be you Tamerlan Amesterdam, 1934. 5 .
Howorth, Sir henry
4. History of the Mongols, London, 1976 – 88 .
Muir,
5. The mamluke or slave dynasty of Egypt, p, 56-57.
Stanley, Lane pool.
6. Ahistory the Egypt in the middle ages, London, 1936.

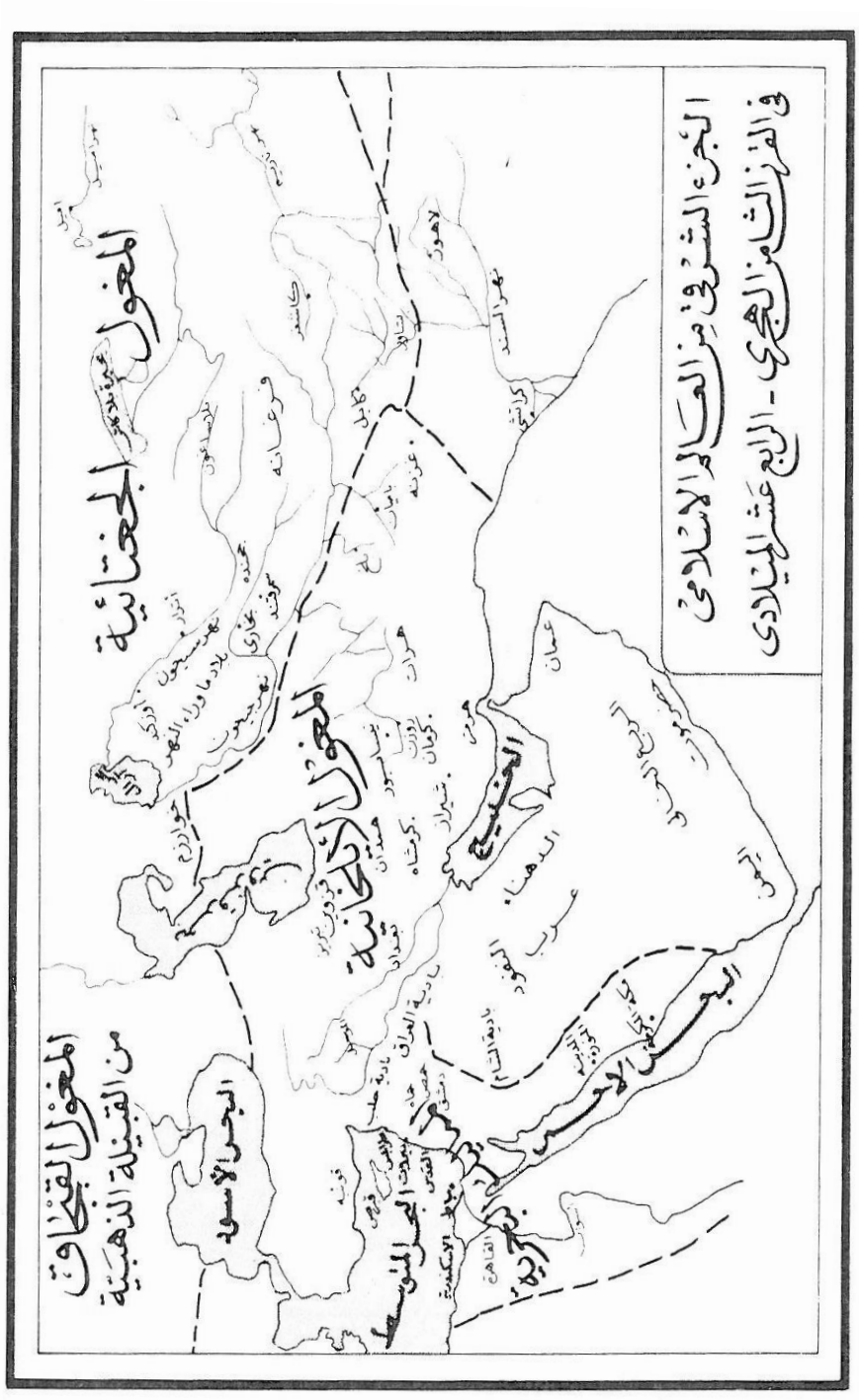
الجزء الشرقي من العالم الإسلامي
في القرن الثامن الهجري - الرابع عشر الميلادي
المغول الجغتائية
المغول الإلخانية
المغول القبجاق
من القبيلة الذهبية
البحر الأسود
البحر الأحمر
البحر المتوسط
الخليج العربي
المحيط الهندي
بحر قزوين
بحر الخزر
بحر أرال
بحيرة بلخش
بحيرة وان
بحيرة أورمية
بحيرة طبرستان
نهر سيحون
نهر جيحون
نهر السند
نهر دجلة
نهر الفرات
نهر النيل
بلاد ما وراء النهر
خوارزم
أترار
بخارى
سمرقند
فرغانه
كاشغر
كابل
لاهور
غزنه
هراز
شيراز
عمان
اليمن
مصر
القاهرة
الإسكندرية
دمشق
بغداد
تبريز
سلطانيه
كرمان
هرمز
عيذاب
قوص
عيذاب
البحر الأحمر

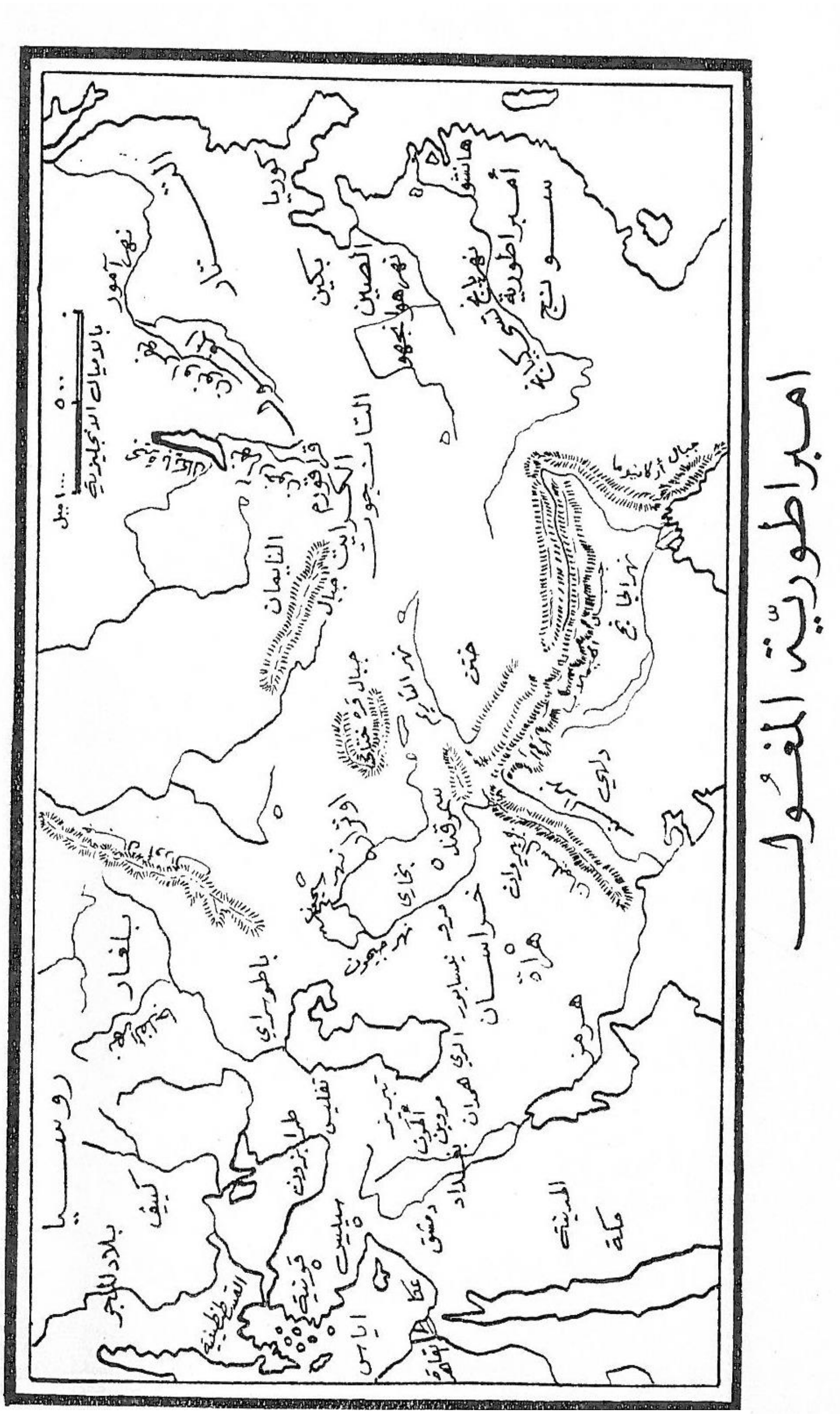

كتاب / المغول في التاريخ

فؤاد عبد المعطي الصياد، ص٢٦

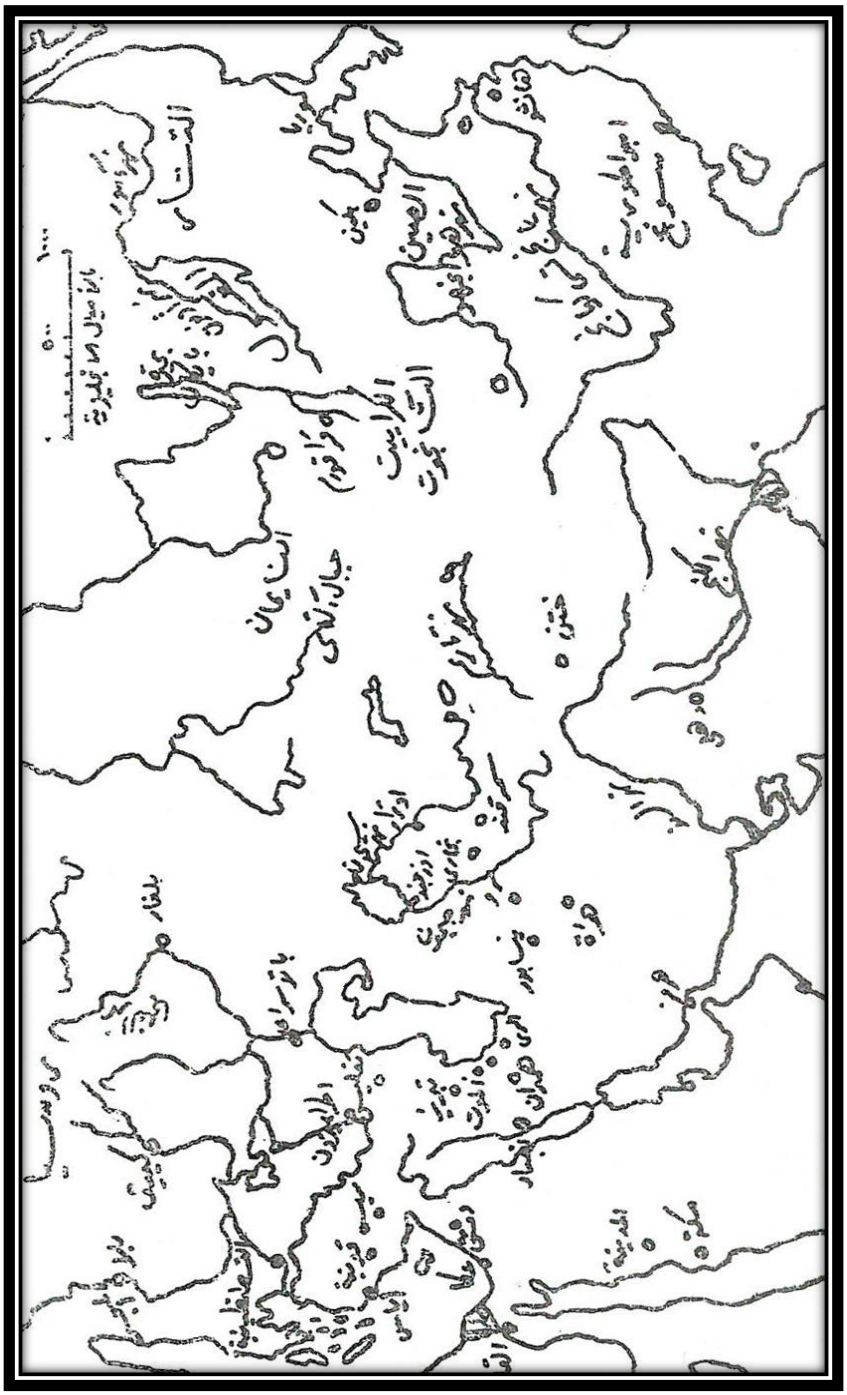

امبراطورية المغول

كتاب تاريخ الدولة المغولية

عبد السلام عبد العزيز فهمي، ص٢٧٠